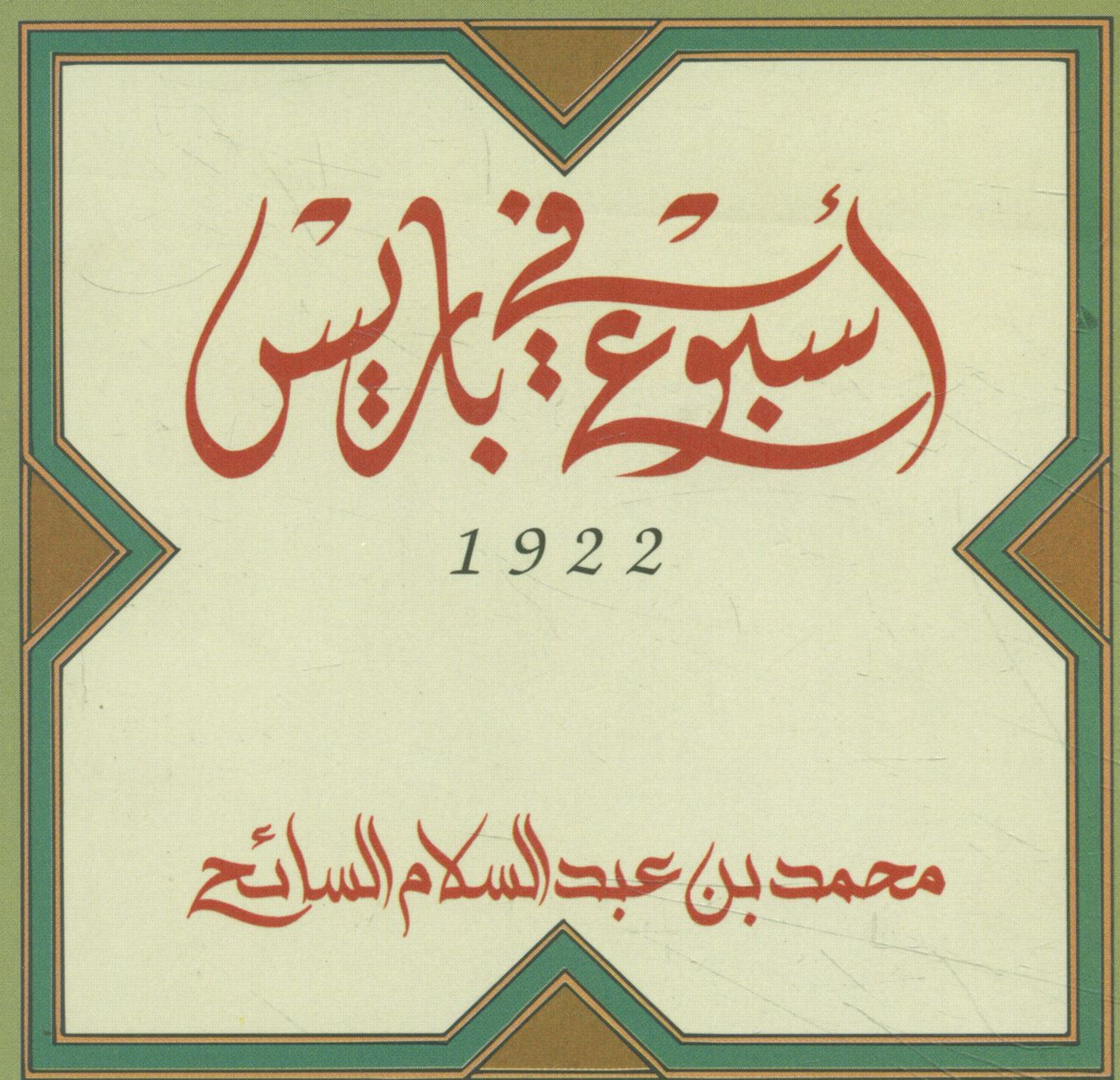
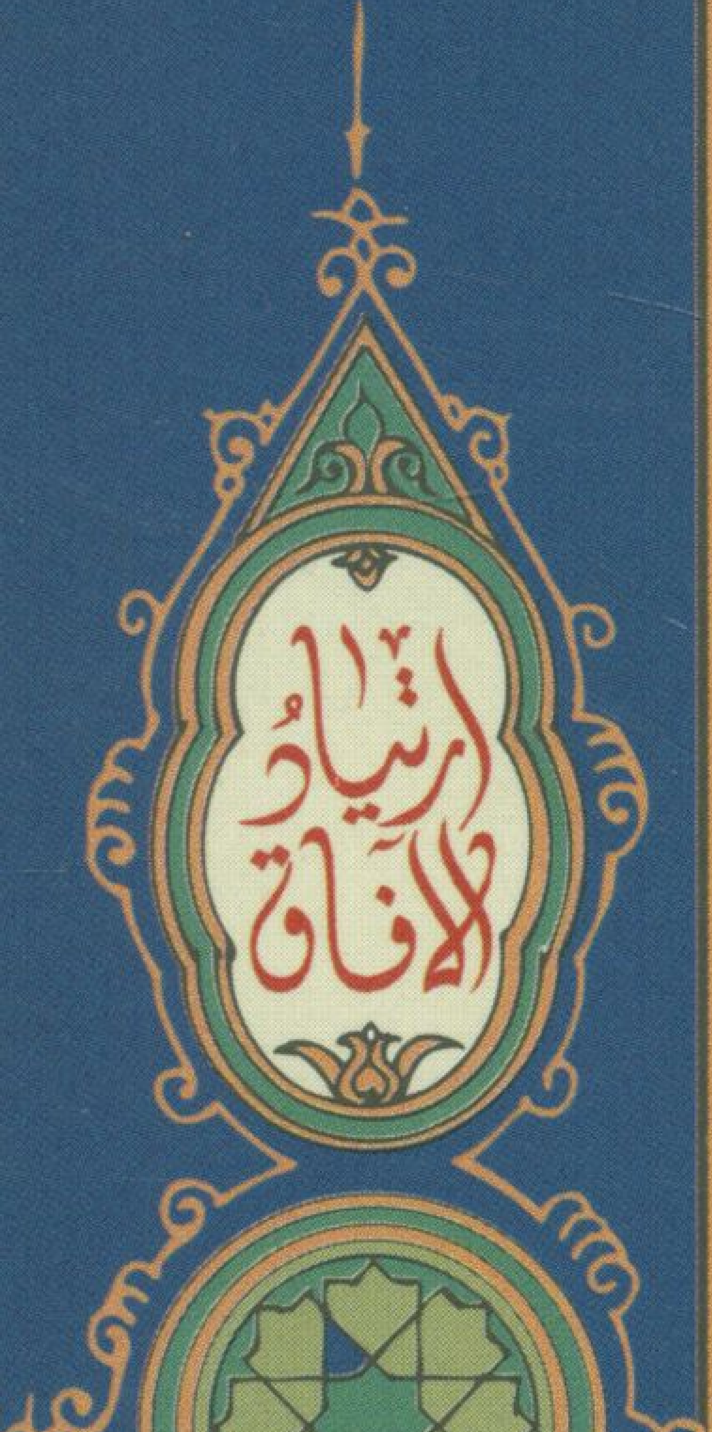




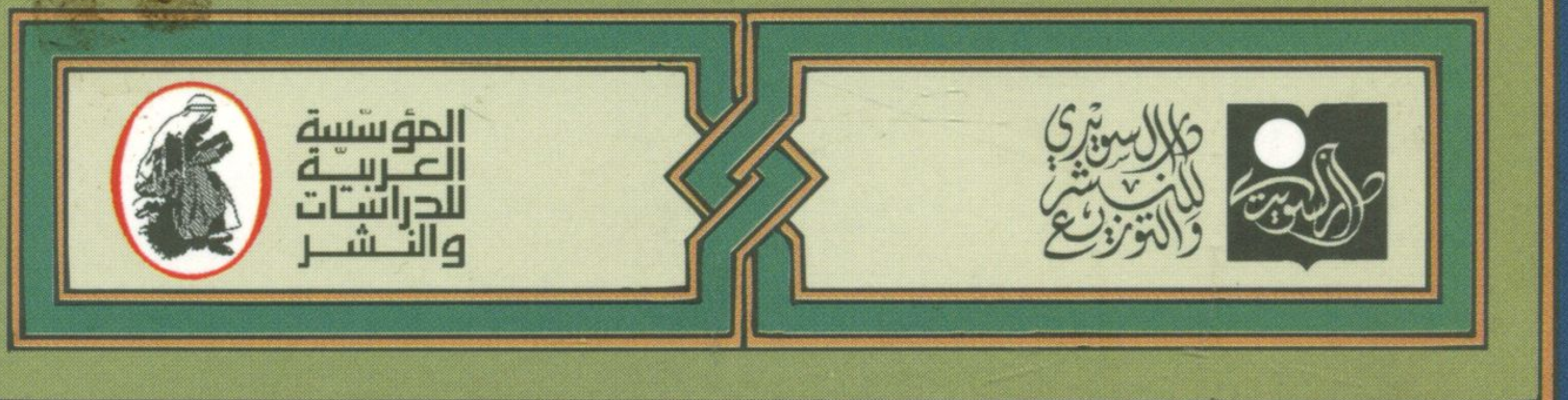
أسبوع في باريس

1922

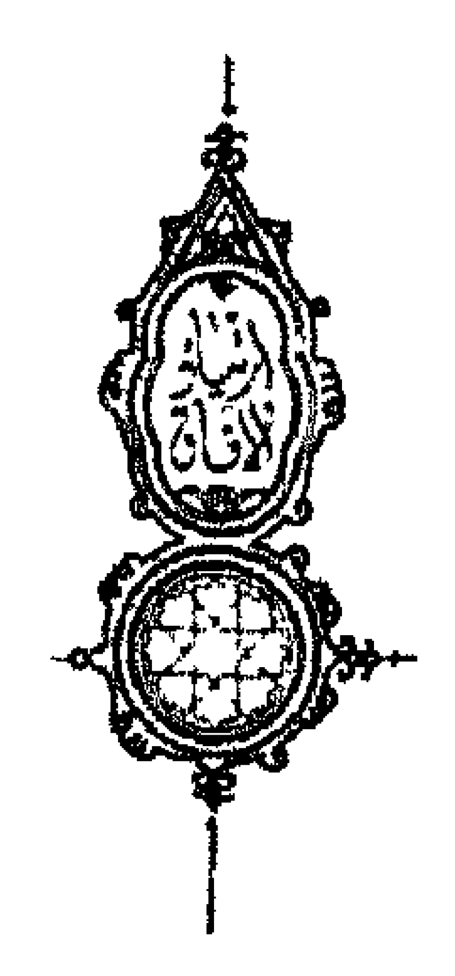
محمد بن عبد السلام السائح



حققها وقدم لها: د. سليمان القرشي




أسبوع في باريس
1922



أسبوع في باريس ١٩٢٢ / أدب رحلات
محمد بن عبد السلام السائح / مؤلّف ، [حرّرها وقدّم لها : د. سليمان القرشي]
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤
حقوق الطبع محفوظة





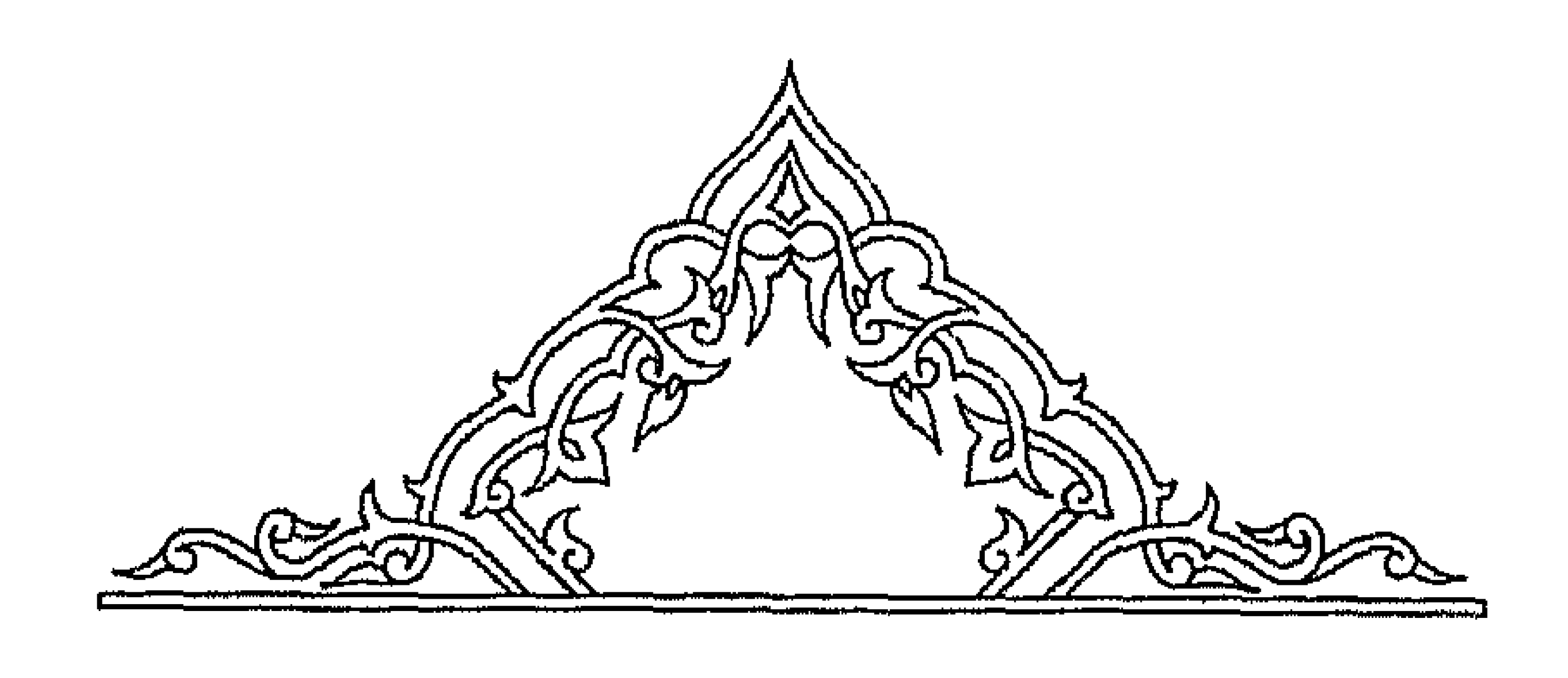
دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي ، ص. ب : ٤٤٤٨٠
الإمارات العربيّة المتّحدة ،
هاتف : ٦٣٢٢٠٧٩ ، فاكس : ٦٣١٢٨٦٦

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo

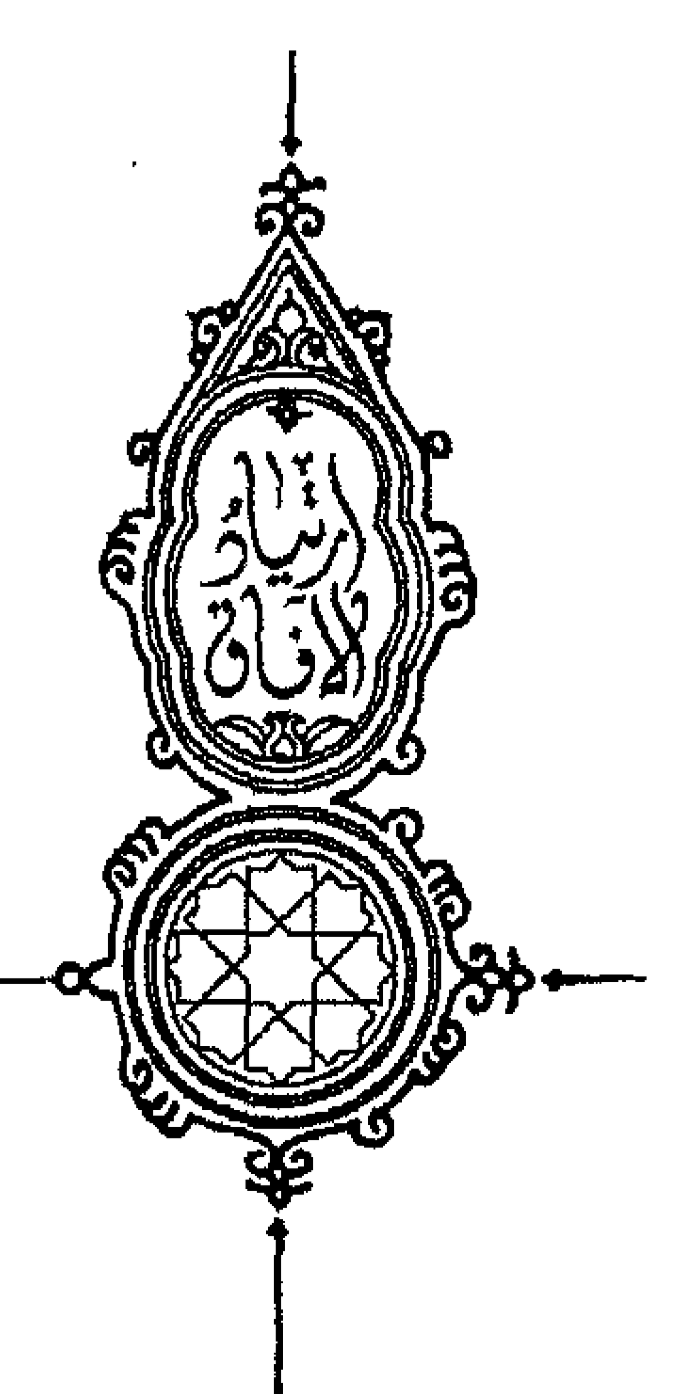
تصميم الغلاف : **منير الشعراني / مصر**
الصفّ الضوئي :
القرية الإلكترونيّة / أبو ظبي + المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد پرس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-602-0



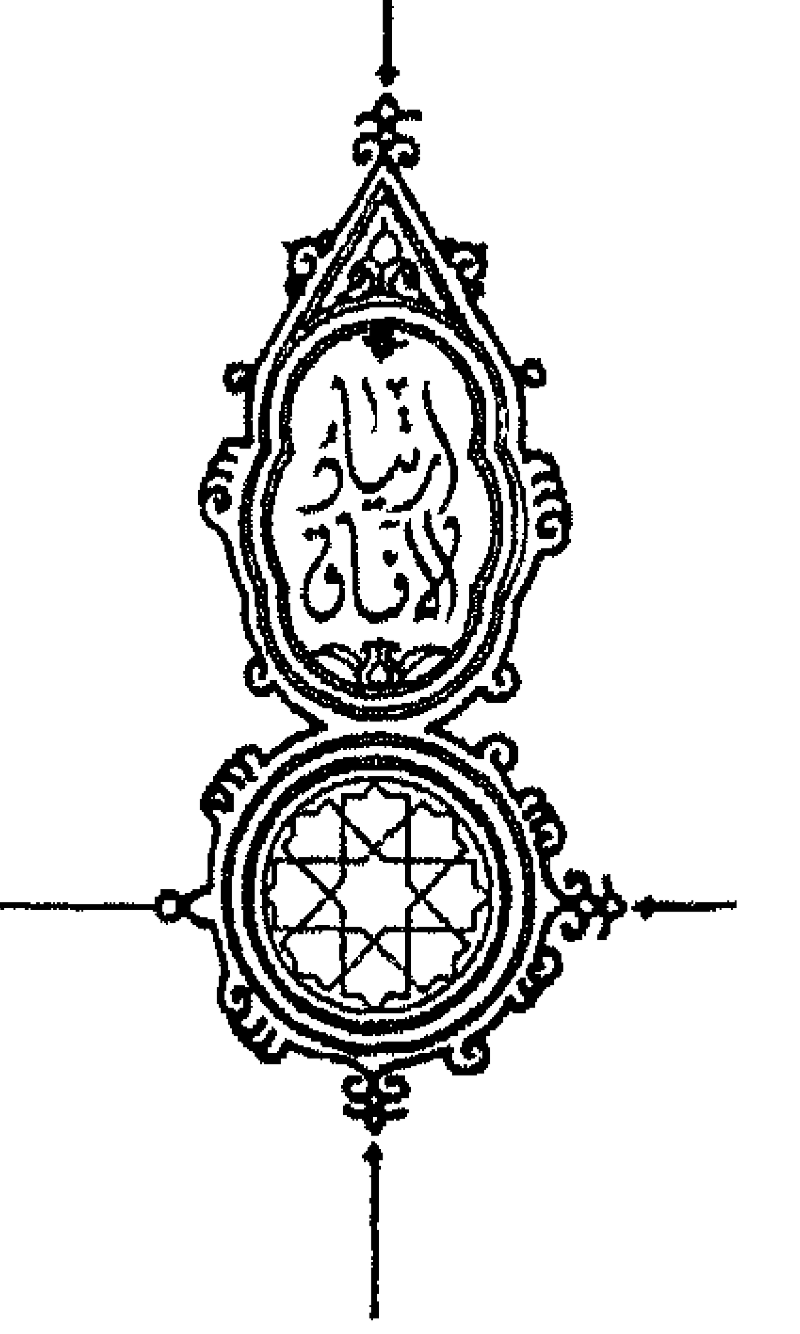
أسبوع في باريس

1922



محمد بن عبد السلام السائح

حققها وقدّم لها: د. سليمان القرشي



يشرف على هذه السلسلة :

نوري الجراح

« . . . وألفينا على المرسح عددا كثيرا من الممثلين والممثلات بأقمشة مزركشة وألوان مختلفة قد ضاعفت الأشعة الكهربائية لمعانها ، فصارت تعشي البصر ، وتدهش من حضر ، ولهم نشيد ورنين ، وللموسيقيين تطريب وتلحين ، إلى مطارحة ذكران ونسوان ، وأزياء ما أنزل الله بها من سلطان ، حتى خيل لي أني في عرش بلقيس أو في عالم الأباليس .» .

نص الرحلة ص 33

« . . وترى أهلها يعجبون بزي الغريب بخلاف الباريزيين فقد أنسوا بزي المغاربة ، فلا يلتفتون إليه إلا قليلا ، فكنا إذا مشينا كانوا خلفنا ، وإذا وقفنا أحدقوا بنا ، وحلقوا حولنا ، وخصوصا السيدات والخرائد والممسودات فإنهن يعجبن بشكلي ، ويغالبهن الضحك ، بينما أنا أعجب من حسنهن ورقتهن وتثنيهن .» .

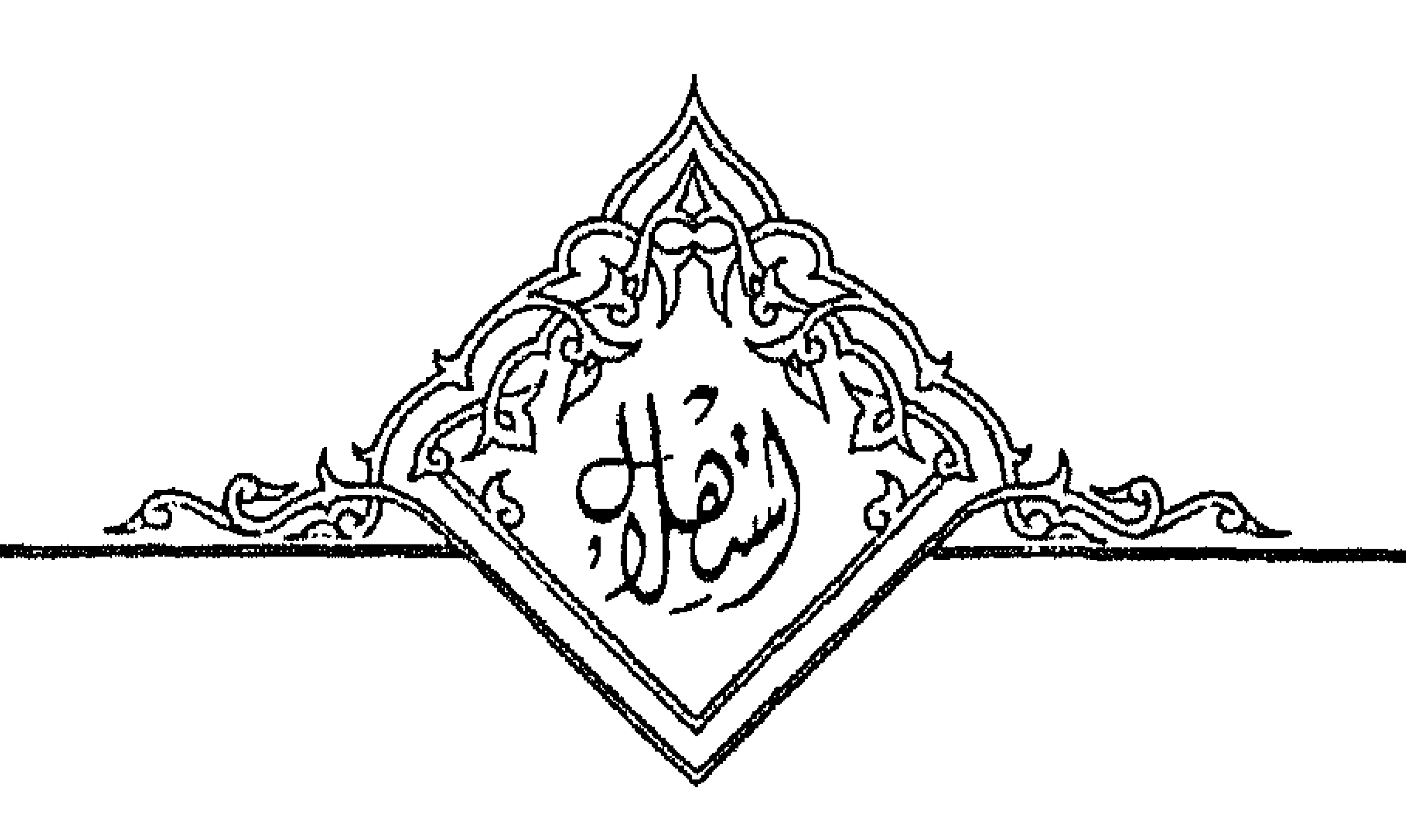
نص الرحلة ص 35

«وليس العلم الذي نعني وحوله نُدَنْدِن مجرد ألفاظ يتشدق بها ، أو أشعار يترنم بها ، أو حكايات يحاضر بها ، أو هو عبارة عن مصافحة الأوراق صباح مساء ، أو عن محفوظات تتلى ثم تملى ، أوعن حكاية قول فلان ومناقضة فلان ، لا والله ، بل العلم هو الغوص على مغازي المعاني ، ثم النفوذ منها إلى حيز العمل .»

نص الرحلة ص 42



صورة القاضي العلامة محمد بن عبد السلام السايح



تَهْدُفُ هذه السّلسلةُ بَعْثَ واحدٍ من أعرقِ ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية ، من خلال تقديم كلاسيكيّاتِ أدبِ الرِّحلةِ ، إلى جانب الكشف عن نصوصٍ مجهولةٍ لكتاب ورحّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميّاتهم وانطباعاتهم ، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبِروهُ في أقاليمه ، قريبةً وبعيدةً ، لاسيما في القَرنين الماضِيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة ، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنّاس في الغرب ، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشّرقِ ، ورسموا له صوراً ستملأ مجلدات لا تُحصى عدداً ، خصوصاً في اللغاتِ الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم ، ومن منطلق المستأثر بالأشياء ، والمتهيء لترويج صور عن «شرق ألف ليلة وليلة» تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاتهم ، وتُمهّدُ الرأي العام ، تالياً ، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق . ولعل حملة نابليون على مصر ، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية ، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك . فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي

لتؤسس للظاهرة الإستعمارية بوجهيها العسكري والفكري .

على أن الظّاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله ، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها ، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري ، لتجد نفسها تملك ، بدورها ، الدوافعَ والأسبابَ لتشدّ الرحال نحو الآخر ، بحثاً واستكشافاً ، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقوله في حضارته ، ونمط عيشه وأوضاعه ، ضاربة بذلك الأمثال للناس ، ولينبعث في المجتمعات العربية ، وللمرة الأولى ، صراع فكري حاد تُستَقْطَبُ إليه القوى الحيَّةُ في المجتمع بين مؤيد للغرب موالٍ له ومتحمّسٍ لأفكاره وصياغاته ، وبين معادٍ للغرب ، رافضٍ له ، ومستعدّ لمقاتلته .

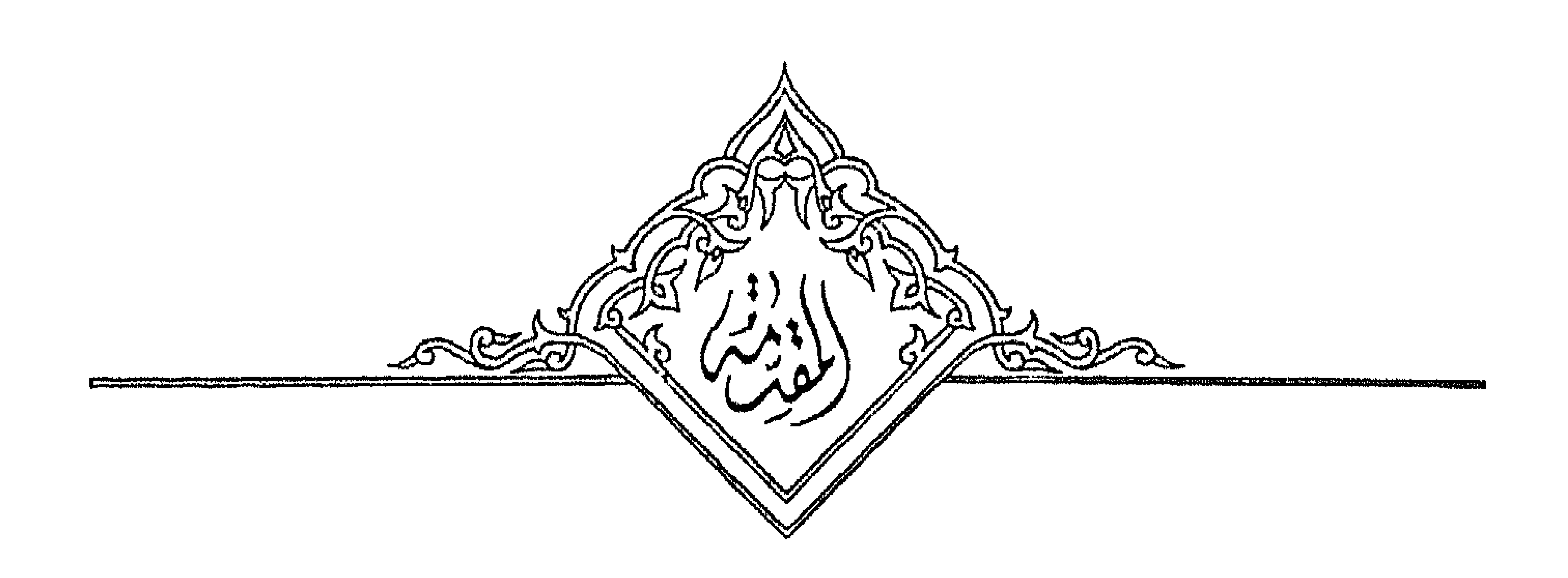
وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين ، عَبْرَ رسمِ صورِ دنيا لهم ، بواسطة مخيّلةٍ جائعةٍ إلى السّحري والأيروسيّ والعجائبيّ ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم ، كما سيتّضحُ من خلال نصوص هذه السلسلة ، ركّز ، أساساً ، على تتبع ملامح النهضة العلميّة والصناعيّة ، وتطوّر العمران ، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق . لقد انصرف الرّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات ، مدفوعين ، غالباً ، بشغف البحث عن الجديد ، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط ، من باب الفضول المعرفي ، وإنما ، أساساً ، من بابِ طَلَبِ العلم ، واستلهام التجارب ، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث ، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشّلل الحضاريّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها . هنا ، على هذا المنقلب ، نجُد أحد المصادر الأساسية المؤسّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته ، وهي نظرة المتطلّع إلى المدنيّة وحداثتها

من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة ، المتحسِّر على ماضيه التليد ، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية .

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم ، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة ، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرّحالة ، والانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار . فأدب الرحلة ، على هذا الصعيد ، يشكّل ثروةً معرفيّةً كبيرةً ، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار ، فضلاً عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى ، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكّرُ بها .

أخيراً ، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسة التي قد تبلغُ المائة كتابٍ من شأنها أن تؤسس ، وللمرة الأولى ، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربيِّ في ارتيادِ الآفاقِ ، واستعداده للمغامرة من بابِ نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمُتعة ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض وفي قارّاته الخمس ، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه ، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء ، وغيرهم من الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية .

محمد أحمد خليفة السويدي



لا يكاد يشك أحد في أن الرحلة العربية إلى أوربا وبالخصوص خلال القرن التاسع عشر، قد شكلت نافذة مهمة للإطلاع والتعرف على مجريات العالم الذي لم يكن ليقيل عثرة أو يرحم متوان .

ولعل الإيمان بقيمة النور النافذ من كوة الرحلة والاعتقاد الراسخ بدوره في رسم معالم الطريق نحو آفاق التحرر والتطور هو الذي أدار عجلة الرحالة العرب نحو أوربا ، و قد زاد هذه العجلة قوة التقاليد العربية المشبعة بروح الهجرة والارتحال .

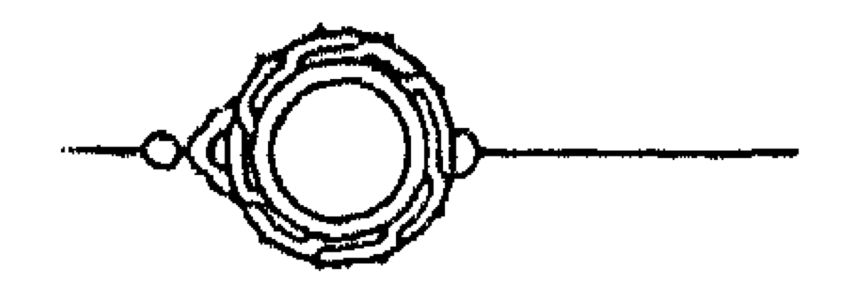
وإذا كانت الدراسات الجادة كافية وشافية في دراسة مختلف جوانب الرحلة العربية إلى أوربا ، فإن هذا لا يمنع من أن نسجل للرحلة التي نسعد اليوم بتقديمها وتحقيقها نوعا من الخصوصية والتميز ، ومن ذلك أن السايح الفقيه ، قد استطاع أن يتخلص من كل مياسم الانبهار التي طبعت الرحلات العربية إلى أوربا لينزع نحو التوفيق والتوليف بين حياة العربي المسلم وبين شروط الحياة الأوربية في دقائقها اليومية ؛ ومن ذلك مسألة الأكل واللباس وغيرها من القضايا والمواقف والأحكام التي فرضها المقام بين ظهراني الأوربيين ، وهي القضايا التي فتحت شهية الفقهاء والعلماء من الرحالة الذين رجعوا إلى ما اكتنزت به كتب الفقه من أحكام وآراء ، فقاسوا

الشاهد على الغائب ، وقد كان المرحوم محمد بن عبد السلام السايح واحدا من هؤلاء الفقهاء العلماء الذين حملوا القواعد والقوانين الفقهية من الهوامش والحواشي إلى معترك الحياة اليومية في أوربا .

على أن القيمة الحقيقية للرحلة تكمن في الهدف الذي من أجله أقلعت سفينتها باتجاه فرنسا ، فإذا كان الدافع لهذه الرحلة هو تحقيق قبلة مسجد باريس ، وإذا كان محمد بن عبد السلام السايح واحدا من العلماء الذين أموا الديار الفرنسية للقيام بهذا الأمر الجليل والخطير ، فإن المثير في الأمر هو وجود مهندسين فرنسيين متسلحين بأحدث ما جادت به معارف الرصد والهندسة بجانب علمائنا الفقهاء ، وهو ما نتج عنه نوع من الاحتكاك المعرفي الذي خرج منه فقهاء المسلمين مطمئنين على معارفهم وعلومهم في مجال تحديد القبلة ورصد سمتها .



صورة تمثل عملية تحديد قبلة مسجد باريس



1 ـ محمد بن عبد السلام السايح نسبه وتكوينه :

ولد محمد بن عبد السلام السايح[1] برباط الفتح في ثاني عشر ربيع النبوي من عام تسعة ، أو عشرة ، وثلاثمائة وألف (1309/1310هـ1891/ 1892م) لوالده عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد السايح الذي ينحدر من أصول أندلسية[2] .

وعن سر هذه التسمية التي تحملها عائلة المترجم له يقول المرحوم عبد الله الجراري إن جد محمد بن عبد السلام السايح قد انخرط في سلك الجندية التركية بالجزائر أيام حكم الأتراك ، ثم غادرها إلى استانبول وخفت ذكره زمنا ، وما آب يتفقد أهله ومنزله إلا بعد كبره ، ومن هنا أخذوا يلقبونه السايح[3] .

استهل المرحوم محمد بن عبد السلام السايح حياته الدراسية بحفظ القرآن الكريم على يد ثلة من الأساتذة منهم . الفقيه العدل السيد عبد السلام بن محمد كيلطو ، والفقيه السيد المهدي بن محمد الصحراوي . ولقد ذكر ، رحمه الله ، أنه بعدما حذق القرآن ، عكف على أخذ العلم بهمة لا يحوم حولها الونى[4] ، فأخذ عن الشيخ محمد بن أحمد العياشي النحو والفقه والتوحيد ، وأخذ العربية والصرف عن الشيخ التهامي بن المعطي الغربي ، وأخذ المنطق والأصول والفقه والفرائض والحساب والتوقيت عن العلامة عبد الرحمن بناصر بريطل ، كما درس الفقه على يد أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الرندي .

---

(1) للوقوف على مزيد من الحقائق والدقائق حول حياة المرحوم محمد بن عبد السلام السايح يمكن الرجوع إلى المراجع الآتية : الاتصال بالرجال ، وهو ترجمة لحياة المؤلف بقلمه ، أحاديث عن الأدب المغربي ، ص : 58 ، الأعلام 207 : 6 ، دليل مؤلف المغرب الأقصى 355 : 2 ، الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح لعبد الله الجراري ، معجم المطبوعات المغربية ، ص : 151 ، معجم المؤلفين 169 : 10 ، موسوعة أعلام المغرب 3234 : 9 ،

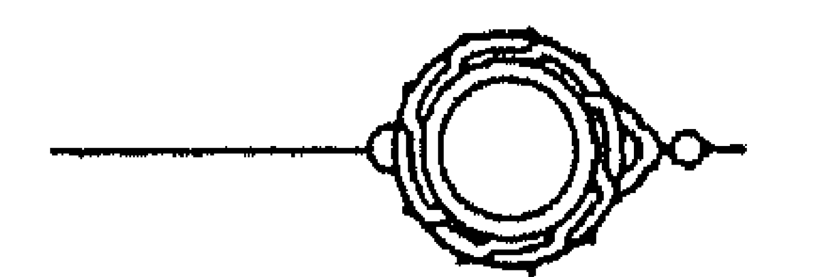
(2) الاتصال بالرجال ، ص : 65-66 .

(3) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح ، ص : 9 .

(4) الاتصال بالرجال ، ص : 67 .

ومن شيوخ وأساتذة المرحوم محمد بن عبد السلام السايح أيضا نذكر : الفقيه السيد الجلاني بن إبراهيم ، والشيخ أحمد بن قاسم جسوس ، وأحمد بن إبراهيم الجريري ، والمهدي بن عبد السلام متجنوس الذي أخذ عنه التوقيت والحساب . كما كان أبو شعيب الدكالي ، سارية العلم الركينة ، من الشيوخ الذين لازم المترجم له مجالسهم وحرص على الأخذ عنهم ، يقول محمد بن عبد السلام السايح : «لازمته سنين عديدة تلقيت عليه فيها علوما جمة ، بل بحارا زاخرة من علوم الحديث والتفسير وغيرها»[5] .

ويتبين من هذا الجرد السريع لشيوخ وأساتذة المرحوم محمد بن عبد السلام السايح أن المترجم له قد أخذ بنصيب وافر من كل ما كان رائجا من علوم عصره ؛ من فقه وحساب ومنطق ولغة وأدب وغيره ، الشيء الذي أهله ليكون من النخبة المتنورة التي وسمت عصرها بسمات خاصة . يقول المرحوم عبد الله الجراري : «كانت تلك النخبة الطيبة مكرع أستاذنا السايح ، وطبيعي أن يحذو حذوهم جاريا على سننهم ، فيجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم ، أجل ، لهذا رأينا الفطاحل من رجال الثقافة يغمرونه بإجازاتهم التي هي في الحقيقة كشهادات نبوغ المُجاز واستحقاقه وتبريزه فيما درس وأخذ»[6] . وممن أجاز المرحوم محمد بن عبد السلام السايح من الشيوخ والعلماء والفقهاء نذكر[7] : العلامة أحمد بن محمد البناني الرباطي ، والعلامة أبو حامد البطاوري ، وشيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري ، والشيخ الرياضي محمد المهدي متجنوس ، كما أجازه المحدث الشهير عمر حمدان التونسي وغيرهم .



2. وظائفه ووفاته :

استهل المرحوم محمد بن عبد السلام السايح ، سيرا على نهج النخبة المثقفة من

---

(5) الاتصال بالرجال ، ص : 70 .

(6) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح ، ص : 11 .

(7) أنظر نصوص هذه الإجازات في كتاب . الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح ، ص : 12-16 .

أبناء عصره ، حياته العملية أستاذا بالمدرسة اليوسفية بالرباط ، ثم بمعهد الدراسات العليا بعد ذلك ، الشيء الذي فتح أمامه أفاقا أرحب للاتصال بالأفكار والرجال ؛ وكان من ذلك احتكاكه بالمستشرقين والمفكرين الغربيين مقتبسا منهم مناهج البحث والنقاش والمحاضرة[8] .

ولقد انتقل المترجم له بعد ذلك إلى سلك القضاء حيث عين في مجلس استيناف الأحكام الشرعية بالقصر السلطاني ، «ومهمة هذا المجلس تصفح الأحكام الشرعية الواردة من القضاة ثم تصحيحها ، أو نقضها ، أو الأمر بتتميم ما بها من نقصان»[9] . وقد مارس المترجم له وظيفة القضاء الشرعي بكل من مدن : الجديدة (1348 هـ /1929 م) و وادي زم (1350هـ/ 1931م) ، ثم شراقة و أولاد عيسى بأحواز فاس (1352هـ/ 1933م) ، كما رقي سنة 1355هـ/ 1936م لقضاء الجماعة بمحكمة الرصيف بفاس ، وتولى بعد ذلك مهمة القضاء بمدينة مكناس التي وافاه بها الأجل المحتوم يوم الإثنين 16 ذي القعدة سنة 1367هـ/ 1948م . وممن رثاه من الشعراء المغاربة نذكر المرحوم عبد المجيد الفاسي الذي يقول :

يعز علينا فقد شيخ مجدد
له نظر تعنو إليه المسائل
أجاب نداء الله سائحنا وفي
مماته حزن دائم متواصل
بكته علوم كان درة عقدها
وديباجها تبكي عليه المحافل
بكته دروس ان زينة صدرها
تحل بتحقيق لديه المسائل
بكته كراسي كان يجلس فوقها
جواهر يمليها بها الفكر صائل[10]

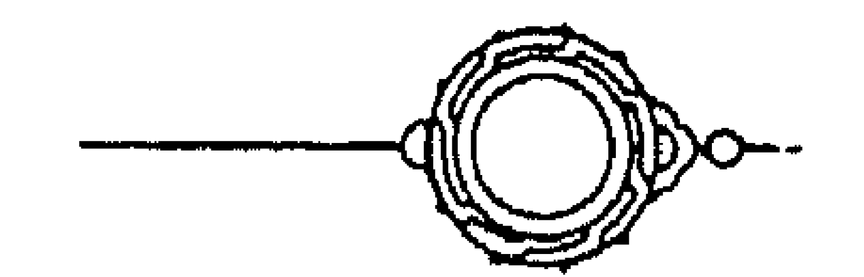
---

(8) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح ، ص : 19 .

(9) الاتصال بالرجال ، ص : 75 .

(10) ديوان عبد المجيد الفاسي ، ص : 413-414 .

وأثناء مزاولة المرحوم محمد بن عبد السلام السايح لوظيفته الرئيسة المتمثلة في القضاء، كانت تسند إليه بين الفينة والأخرى، باعتبار مكانته العلمية، بعض المهمات الجليلة ؛ ومن ذلك تعيينه عضوا في لجنة الامتحان القروي لشهادة العالمية[11]، و أسندت إليه بجانب العلامة محمد بن أحمد الهواري مهمة استخراج سمت القبلة بمسجد باريس سنة 1922 [12]، كما تم اختيار محمد بن عبد السلام السايح لرئاسة وفد الحجيج المغربي إلى الديار المقدسة عام 1366هـ/ 1947م[13]، الشيء الذي فتح أمامه باب الالتقاء بالرجال والاحتكاك بالأفكار والإطلاع على الحضارات، وهو ما انعكس على إنتاجه الفكري والأدبي الذي احتل منه أدب الرحلة مكانا فسيحا .



3. مؤلفاته :

خلف المرحوم محمد بن عبد السلام السايح تراثا فكريا غنيا و متنوعا توزع بين الأدب والفقه والتاريخ، وقد ذكر، رحمة الله عليه، في الترجمة التي خص بها نفسه جزء من هذا التراث، ومن ذلك[14] .

- الخمار المذهب في أحكام التعامل بين مختلفي المذهب .
- المصباح الأجوج الكاشف عن سد ذي القرنين وياجوج وماجوج .
- الشرف المروم بأحاديث فتح مدينة الروم .
- نجحة الرائد في ابتناء الحكم والفتوى على المقاصد والعوائد .
- إثمد الجفن في عدم إعادة صلاة الجنازة الناقصة التكبير بعد الدفن .
- سبك الذهب واللجين في سر افتقار التناسل إلى الزوجين .

---

(11) الاتصال بالرجال، ص : 18 من مقدمة المحقق .

(12) أسبوع في باريز، ص : 11 .

(13) لمحة بصر على البلاد المقدسة، ص : 125 .

(14) الاتصال بالرجال، ص : 114-115 .

- رقة الصبابة فيمن قتل قريبه الكافر أو هم به من الصحابة .
- الغصن المهصور بمدينة المنصور .
- أسبوع في باريز[15] .

وبالإضافة إلى هذه الكتب التي لا تزال مخطوطة ، فإن بعضا من إنتاج المرحوم محمد بن عبد السلام السايح قد عرف طريقه إلى المطبعة وانتشر بين الناس ، مثل :

- الاتصال بالرجال[16] .
- سوق المهر إلى قافية ابن عمرو[17] .
- لمحة بصر على البلاد المقدسة[18] .
- المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية[19] .

وإذا كان هذا الجرد على سبيل التمثيل فقط ؛ إذ يصعب حصر إنتاج المرحوم محمد بن عبد السلام السايح الموزع بين المخطوط والمنشور ، والمختلف بين كتاب ومحاضرة ورسالة و بحث وغير ذلك[20] ، فإن هذا الجرد ـ على محدوديته ـ يجعلنا ندرك أننا أمام أحد أهم رموز التأليف وحركته بالمغرب خلال النصف الأول من القرن المنصرم .

---

(15) هو موضوع هذا التحقيق .

(16) الرباط 1995 .

(17) المطبعة الاقتصادية ، 1938 .

(18) الرباط 1995 .

(19) المطبعة الرسمية 1920 .

(20) أنظر . الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح ، ص : 77 – 79 .

خطة التحقيق

اعتمدنا في تحقيق كتاب أسبوع في باريز على النسخة الخطية المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم . س 161 ، وللإشارة فقد استنسخ عن هذه المخطوطة ميكروفيلم محفوظ بالخزانة العامة ، قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط ، يحمل رقم : 1739 . ونشير إلى أن النسخة الخطية التي اعتمدناها أصلا لهذا العمل هي بخط المؤلف ، قال ابن سودة المري إنها تقع في نحو أربعة كراريس[21] .

تقع مخطوطة أسبوع في باريز في 70 صفحة من الحجم المتوسط ، وإذا كانت المخطوطة غير مضبوطة بالشكل و خالية من تاريخ الفراغ من الكتابة ، فإنها لا تخلو من بعض الرسوم البيانية التي تشرح كيفية تحديد القبلة ، كما تتخللها بعض الهوامش والإضافات بخط المؤلف . وإلى هذه النسخة أشار عدد من الباحثين والدارسين ، منهم المرحوم عبد الله الجراري الذي قدمها قائلا إنها «عبارة عن رحلة رحلها في وفد مؤلف من المترجم والفقيه السيد محمد الهواري قاضي طنجة عين لتحقيق قبلة المعهد الإسلامي الذي أسس بباريز ضمنها ما شاهده من مآثر وعجائب وغرائب ، وعلى من اجتمع بهم من العلماء والمفكرين وذوي المناصب والرأي ، كما أدرج فيها عدة مسائل أصولية وفتاوى فقهية على قواعد المذاهب الأربعة»[22] .

ولإخراج هذه الرحلة في صورة تليق بمكانتها ومكانة مؤلفها ، فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والأصول ، أهمها الكتب التي شكلت مادة الكتاب الرئيسة ، كما اعتمدنا لإضاءة النص واستجلاء غامضه على مجموعة من الأصول التي تراوحت بين القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف ، والمتون الفقهية ، وكتب التاريخ ، ومعاجم اللغة والبلدان ، بالإضافة إلى كتب التراجم والأعلام .

وقد عملنا على تحقيق النصوص وتخريجها ، ونسبة الأقوال إلى أصحابها ، وأشرنا

---

(21) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، 355 : 2 .

(22) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح ، ص : 64 .

إلى أوزان الأشعار الواردة في المتن مع التنصيص على مواردها وأصولها ، كما عنينا بضبط الألفاظ الغريبة وشرحها ، وعرفنا بالأعلام البشرية المغمورة مع الإشارة إلى مصادر الترجمة ، وقد راعينا أن تكون هوامش التحقيق وظيفية ومسعفة على قراءة الأصل والتعامل معه ، فلم نثقلها بما يخرج الكتاب عن غرضه ، أو يفقده كنهه وطابعه العام .

وقد ذيلنا هذا الكتاب بفهارس كشافة ؛ كفهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة ، و فهرس الأعلام ، وفهرس الأشعار ، وفهرس المدن والبلدان والأماكن ، وفهرس الأمم والقبائل والشعوب ، وفهرس الكتب الواردة في المتن ، وفهرس الثورات والمواقع والحروب ، وفهرس المصادر والمراجع ، وختمنا كل هذا بفهرس للمحتويات .

رموز التحقيق

الأصل	:	نسخة الخزانة الحسنية من مخطوط أسبوع في باريز .
[ ]	:	ما بين معقوفتين غير وارد في المتن .
/	:	نهاية الصفحة في المخطوط وبداية التالية .
تاريخ	:	تاريخ وفاة العلم .
دت	:	دون تاريخ .
هـ رقم	:	هامش الصفحة رقم .
D.E.H	:	Dictionnaire encyclopédique Hachette .



يمتد المسار العام لرحلة محمد بن عبد السلام السايح زمنيا إلى حدود أسبوع واحد يبتدئ من يوم الاثنين العشرين من فبراير سنة 1922 ، وهو اليوم الذي شد فيه المؤلف الرحال بحرا باتجاه مدينة باريس مكلفا بأداء رسالة علمية ودينية لها أهميتها الدينية ودلالتها الحضارية ، والمتمثلة في تحديد سمت قبلة مسجد باريس .

وقد كانت المساحة الزمنية مؤطرا رئيسا للرحلة ومحددا مهما لمسارها العام ، ولهذا فقد اختار لها المؤلف اسم» «أسبوع في باريز» ليدل بكثافة على الإطار الزمني الخاص برحلته ، وهو الإطار الذي أكسبها خصوصية وأعطاها نكهة مميزة . وخلال هذا الأسبوع الواحد ؛ (أسبوع في باريز) ، فقد تمكن المؤلف من القيام بواجبه العلمي والديني ، ونجح في أداء رسالته الحضارية المتميزة .

ينطلق المسار العام لرحلة محمد بن عبد السلام السايح من مرسى الدار البيضاء التي بارحها المؤلف يوم الاثنين العشرين من فبراير سنة 1922 على متن الباخرة (وليلي) ، ليصل بعد ذلك إلى مرسى بوردو ليلة الجمعة . وبهذه المدينة نزل المؤلف والوفد العلمي المرافق له بأُتيل نيس ، كما زار أعضاء الوفد قنطرة نهر الجارون ، وفي المساء ذهب الجميع إلى الملهى الكبير (گراند تياتر) .

وفي حدود الساعة التاسعة من يوم السبت ، غادر أعضاء الوفد العلمي المغربي مدينة بوردو باتجاه مدينة باريز ممتطين ظهر القطار الحديدي الذي اخترق خلال هذه الرحلة مجموعة من المدن والقرى ، وقد ذكر المؤلف أن صدر القطار كان يتسع أحيانا ليقف خلال رحلته ببعض المدن بضع دقائق لينزل النازل ، ويركب الراكب ، والمدن التي وقف بها هي . (أنگوليم) ثم (گواتيي) ، ثم (طور) ، ثم (أورليان) ، ليحل عند حدود الساعة السادسة مساء بالمدينة الهدف ؛ مدينة باريز التي احتضنه فيها فندق (نوفل أوتيل) بشارع لافَايَط . وقد زار المؤلف بعض معالم هذه المدينة ووقف على المشهور من مزاراتها وقصورها ، وقد سجل محمد بن عبد السلام السايح خلال هذا وذاك انطباعاته ودون ملاحظاته ، وسجل بعض مواقفه وآرائه .

كما زار محمد بن عبد السلام السايح خلال رحلته ذات الأسبوع الواحد مدينة فرساي الواقعة بالجنوب الغربي من باريز .

وفي يوم الثلاثاء أم الوفد المكون من بعض فقهاء وعلماء المغرب وتونس والجزائر ساحة المعهد الإسلامي لاستخراج سمت القبلة به وتخطيط خط المحراب . ليكون يوم الأربعاء فاتح مارس يوما للاحتفال بهذا الحدث التاريخي الهام ، حيث توجه أعضاء الوفد على الساعة الثالثة إلى المعهد الإسلامي ، «وكان الاحتفال في غاية الرونق والمهابة ، حضره جم غفير من المسلمين من مغاربة و جزائريين وتونسيين ومصريين وفارسيين وأفغانيين غيرهم» . وقد كان هذا الاحتفال إيذانا بنهاية هذه الرحلة حيث حل أعضاء الوفد المغربي يوم الخميس صباحا بالدار البيضاء ، وبرفقتهم صاحب الرحلة محمد بن عبد السلام السايح الذي أكد قضاء الوطر وطي صحيفة السفر .

ولقد واكب المسار الجغرافي العام لرحلة محمد بن عبد السلام السايح إلى باريس مسار آخر فكري ، أو على الأصح فقهي ، امتد ليشمل كل الأسئلة التي يمكن أن تطرحها الإقامة في عالم مفارق لعالم الوطن الأم .

وقد احترم هذا المسار الفكري التسلسل الكرونولوجي لأحداث الرحلة وتناغم معها ، الشيء الذي جعل منها رحلة علم وأدب ، وأعطاها شرعية الانتساب لصاحبها محمد بن عبد السلام السايح الأديب الفقيه .

أسبوع في باريس

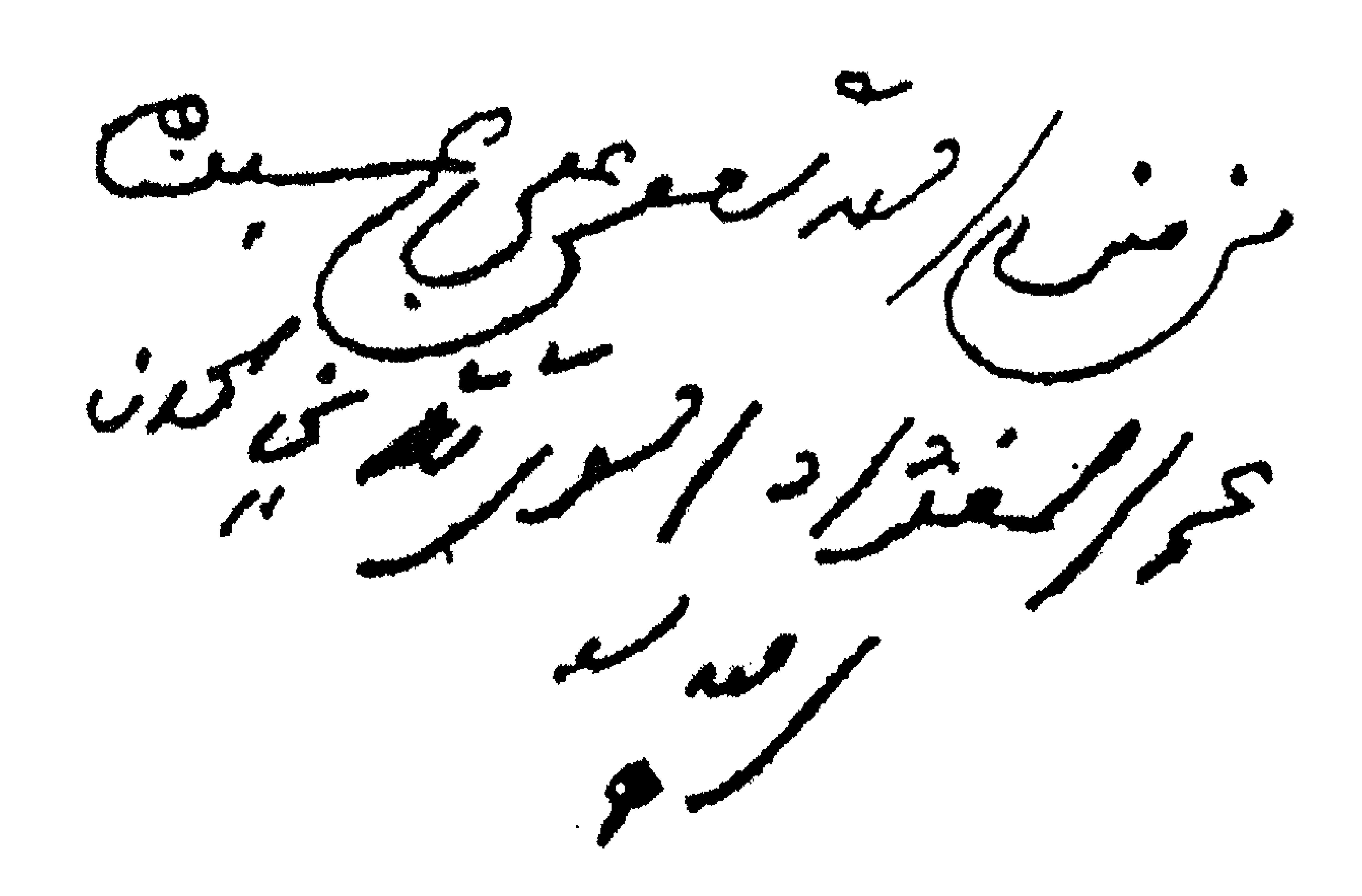
تصنيف العبد الفقير إلى الله

محمد بن عبد السلام [illegible]

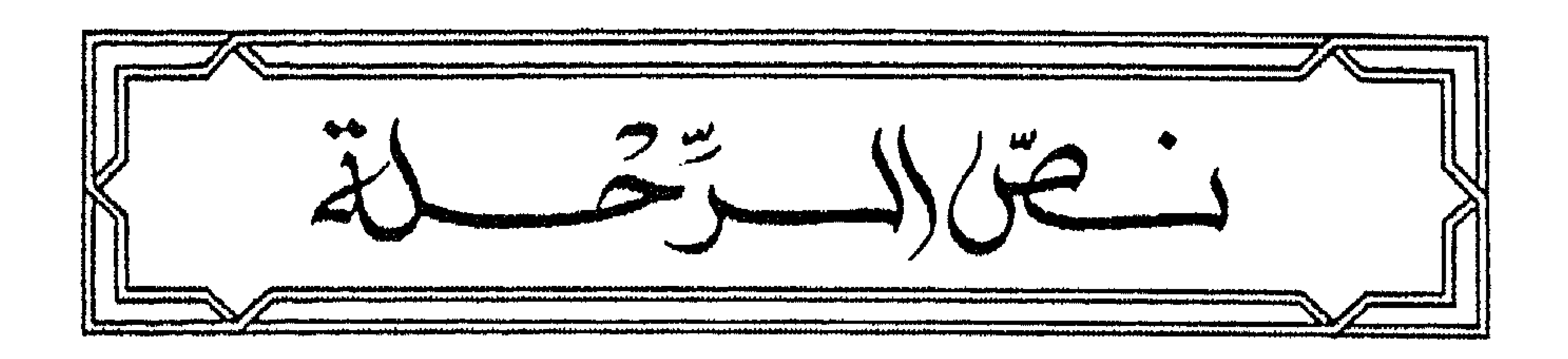
[illegible]

الزمان تنسب اليه بحسب اقطار مختلفة وهكذا كتب الله لكل قوم بما يختصون
في فطرهم لا في فطر غيرهم فلا يخاطب احد بغير زوال بلده ولا بفجره وهذا
مجمع عليه وكذا الهلال مطالعه مختلفة فيظهر في المغرب ولا يظهر في المشرق
الى الليلة الثانية لا متباسه في الشعاع وهذا معلوم بالبصر وبه ومقتضى
القاعدة ان يخاطب كل احد بهلال قطره ولا يلزمه حكم غيره ولو ثبت
بالطرق القاطعة. وفي صحيح مسلم عن كريب ان ام الفضل بنت
الحرث بعثته الى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها
واستهل علي رمضان وانا بالشام فرايت الهلال ليلة الجمعة
ثم قدمت المدينة في اخر الشهر فسالني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال
فقال متى رايتم الهلال فقلت رايناه ليلة الجمعة فقال انت رايته
فقلت نعم وراه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رايناه ليلة
السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما او نراه فقلت اولا تكتفي
برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم. وترجم عليه النووي وغيره من شروح مسلم باب لكل بلد
رؤيتهم ولا شك ان الشرنوبي يقدر ان المغرب في قرب من الهلال
بفطره فيا ليته يجهر اذا اتم ثلاثين على حسابه لان الله تعالى يقول فمن شهد
منكم الشهر فليصمه ان حضر شهوده والاهلة عارية بشهر فقط والشهر
تسعة وعشرون او ثلاثون كما في الحديث فاذا اتم الثلاثين افطر وكان بمثابة
من غم عليه الهلال وقد قال صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاقدروا له
وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين نعم يكون فطره بالنية فقط كالمنفرد برؤية
هلال شوال ونظيره في المسالة من انفرد برؤية هلال رمضان وصام كما هو الواجب عليه
ثم صام الناس بعده بيوم فاذا اتم ثلاثين على حسابه ولم ير الهلال نعم فانه يفطر
بالنية ايضا والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الصفحة الأولى من مخطوط أسبوع في باريز



الصفحة الأخيرة من المخطوط



باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

لما همّت دولة الجمهورية الإفرنسوية بتشبييد المعهد الإسلامي بباريز ليكون تذكارا لمشاركة المسلمين الإفريقيين لها في الحرب الكبرى[23] رأت أن تسند تعيين سمت قبلته وتخطيط محرابه إلى جماعة من علماء الإسلام ممن لهم الخبرة بما هنالك ، واستوفدت لهذه الغاية وفودا من المغرب الأقصى والجزائر وتونس ، فعيّن سيدنا الإمام ، فخر السلاطين العظام ؛

[بسيط]

لقيته فرأيت الناسَ في رجل
والدهر في ساعة والأرض في دار[24]

---

(23) وعدت فرنسا ببناء هذا المسجد تكريما لقتلى الحرب العالمية الأولى من جنود شمال إفريقيا ، وقد أشار الحجوي في رحلته إلى هيأة المسجد قبل بنائه قائلا : « وذهبنا إلى المسجد فوجدناه مسجدا ظريفا لطيفا على هيأة المساجد الإسلامية ، مبنيا من خشب في وسط حديقة ، له صومعة عليها الراية الفرانساوية» : أنظر : رحلة الحجوي ، ص : 68 .

(24) البيت لأبي بكر أحمد الأرجاني ، ورد في . البداية والنهاية 300 : 11 ، وفيات الأعيان 53 : 4 .

سلالة البيت النبوي الطاهر ، ومُحَلي الخناصر[25] عند عَدّ المفاخر .

[بسيط]

بحــــرٌ غنيّ عن الأصـــــداف لؤلؤه
ونفـس همـــــتـــه العليـــا تُربيـــه

[بسيط]

فلو رأى هرم مـــعــــشـــار نائلـه
لقـــيل في هرم قـــد جن أو هرمـــا

ذو الرأي المستحسن ، والسمت[26] الحسن ، مولانا يوسف بن مولانا الحسن[27] .

[مجتث]

أبـقـــــاهُ رَبـي بـخـــــيـــــر
وعـــــــزة وســـــــعَـــــاده
بجـــاه خـــيـــر البـــرايـا
والآلِ أهـل الســـــيـــــاده

لهـــذا الغـرض الفقيـه المشـارك السيـد محمـد الهوّاري[28] قـائد الـثغـر

(25) الخناصر . مفردها خِنْصَر ، وهي الإصبع الصغرى ، يقال بفلان تُثْنى الخناصر ؛ أي يبتدأ به إذا ذكر أمثاله : لسان العرب : خنصر .

(26) السمت . تنسم القصد . لسان العرب . سنم .

(27) السلطان يوسف بن الحسن العلوي ، أبو المحاسن ، ولد بمكناس ، بويع خليفة سنة 1912 ، وتوفي بتاريخ (17-11-1927) : الأعلام 226 : 8 .

(28) محمد الهواري .محمد بن أحمد بن الشيخ علي بن محمد الهواري ، علامة مشارك ، مؤقت مدرس ، تولى وظائف منها قضاء طنجة ، عين عضوا بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط ، توفي في 12 ربيع الأول 1345 هـ . أنظر : موسوعة أعلام المغرب ، ص : 2957 .

الطنجي[29] سابقا ، وهذا العبد الفقير ، فلبيت الأمر ، وقلت لي الشرف والفخر ، وفي يوم الاثنين العشرين من فبراير 1922 ، ركبنا من الدار البيضاء متن الباخرة فوليبليس (وليلي) من بواخر شركة «طرانز أطلانطيك»[30] ، وهي باخرة في غاية النظافة واللطافة وبداعة المنظر ، كأنما صيغت من در ، فأخذنا مجالسنا بالدرجة الأولى منشرحين مبتهجين ، ﴿على سرر متقابلين﴾[31] ، بيْد أنها لما أقلعت وتغلغلت في ذلك المحيط ، عبثت بها أمواجه ، وتقاذفتها أحشاؤه ، فأصبحنا في قرار ليس له قرار ، واستحالت تلك الهيئة البهية إلى هيئة مستشفى[32] ، فغدا كثير منا طريح فراشه ، يتردد إليه الخدمة للسؤال عن الحال وفي وقت الطعام باليسير الموافق ، وأما أنا فتم لي الشبه باستدعاء/ الطبيب ففي الحال حضر ، وفجص ونظر ، وأوعز إلى الصيدلي أن يحمل إلي دواء لمقاومة الذي ليس لاحتماله قوة ولا أيد ، فحمل إلي في وقت العشاء قارورة في ظرف مائة غشاء ، وقال : قَلل من الطعام البِضَاعَة ، وتناول منها جرعة لكل ربع ساعة ، فزودته بمائة (مِرْسي)[33] وأنا أقول في نفسي . ما إخال أنه ينجع دواؤك إلا عندما نُرسي ، كل هذا وربان السفينة ، لا در دره ، لا يلقي لما نلقى من التعب بالا ، لا يكف من غلواء سفينته ، ولا همة له إلا في خريطته وإبرته[34] ، يصل ليله بالنهار ، كالمنهزم الفار ، ويا ليته قدر المسافة منازل ، حتى نستريح بالمحطات والمناهل ، وكأنه ظن اقتناعنا بما يبرزه كل يوم لدى الساعة الثانية عشر من رسم

---

(29) يقصد مدينة طنجة ، وهي مدينة تقع بأقصى الشمال المغربي . الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، معلمة المدن . 304-305 .

(30) طرانز أطلانتيك . Transatlantique ، جاء في كتاب . البرنس في باريز (ص : 69) : « وهاته الشركة فرنساوية رأس مالها ثمانون مليونا ، وابتداء أعمالها في البحر المتوسط من سنة 1880 ، ولها فيه عشرون سفينة جايلة وعلى جميع سطح البحار في العالم لها 78سفينة» .

(31) الصافات . 44 .

(32) تعتبر المعاناة من مَيَد البحر ظاهرة عامة في الرحلة المغربية ، أنظر : رحلة الصفار إلى فرنسا ، ص : 95 ، رحلة الحجوي ، ص : 30 .

(33) Merci : يعني شكرا .

النقطة التي تمخرها السفينة تلك الساعة، معينا لها بالطول والعرض درجا ودقائق مع غرز إبرة راية صغيرة في موقع ذلك الموضع من الخريطة، وهيهات أن نتلهى بخطوط الخريطة وألوانها عن المنازل ومناظرها، وحلاوة النوم بها، ابتلى الله خريطته، بعد نزولنا، باختلاط الألوان، وقرض الفيران، وإبرته بالانحراف ودوام الارتعاش، ومرآته بالضباب، وانحجاب الشمس وتلبد السحاب.

ولم تزل السفينة مع البحر في عراك متواصل، لا تنجلي من غمرة إلا إلى غمرة، وخصوصا لما دنونا من خليج غسقونية[35]، ذلك الخليج المشهور بالهيجان والاضطراب، وتلاطم الأمواج، و اصطخاب المياه، وفي هذا الموضع عمد الخدمة إلى الكراسي فجمعوها، وبالحبال الموثقة قيدوها حتى لا تنتهز فرصة الخلو من الجلوس، فتقوم إلى المسابقة والمصارعة، والتلاطم والمنازعة.

و قصارى القول إنه انطبق على حالتنا تماما ما كتب به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، في وصف البحر؛ «خلق كبير يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء و الماء، إن ركد أقلق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه/ اليقين قلة والشك كثرة، وراكبه دود على عود، إن مال غرق، وإن نجا فرق»[36].

وكنت في تلك الحال أرفع رأسي وأقول لرفيقي. ما كنت أتنبه قبلاً لنكتة التنكير في قوله، صلى الله عليه وسلم، السفر قطعة من العذاب[37]، وقد اهتديت إليها الآن، فإذا هي التعظيم، بشاهد هذا الهول العظيم.

---

(34) إبرته : يقصد : البوصلة.

(35) خليج غسقونية. Golfe de Gascogne، وكان يسمى من قبل خليج Biscaye، وهو خليج على المحيط الأطلسي بين إسبانيا وفرنسا .D.E.H.2/.555

(36) تاريخ الأمم والملوك، 600 : 2. تاريخ الخلفاء، 155 : 1.

(37) صحيح البخاري، 639 : 2، صحيح مسلم، 1526 : 3.

وفي ليلة الجمعة أشرفنا على مدينة بوردو[38] بعدما عبرنا نهر الجارون[39] المفضي إليها بين شاطئين خلعت عليهما من محاسن الأشجار والنباتات حلل سندسية تلمع خلالها أبنية بيضاء معدة لسكنى الأهالي أيام الصيف .

[كامل]

لاحت قـــراها بين خـــضـــرة أيكهـــا

كـــالـــدر بين زبـرجـــــد مكنـــون[40]

وقد اكتنف هناك معبر الباخرة فوانيس كثيرة للإرشاد إلى خط السير ، راسية على سطح الماء ، دائمة الدوران بقوة محركة كشكل المناير البحرية ، يُعبَر إليها في كل ثمانية أيام لتجهز بما يكفيها من زيت الاتقاد ، فتعشو[41] البواخر إلى ضوئها المعلوم ، وتؤم بواسطتها خط الملاحة المرسوم .

وقضينا هذه الليلة بوسط النهر ننتظر مد البحر ليسهل مخر الباخرة إلى المرسى ، وعند دنونا من حَلق النهر[42] استقبل السفينة رائد خصوصي (بِيلوط)[43] ليعبر بالسفينة المضيق ، فألقوا إليه سلما من قِنب[44] ، فتسلقه بغاية الخفة ، وعند الدخول إلى النهر نزل الأول وصعد إليها آخر ليسلكه بها ، وعند الدخول إلى المرسى ارتقى إليها آخر ليحاذي بها الرصيف ، حسبما لكل من الخبرة بما أنيط به .

(38) بوردو . تعتبر مدينة BORDEAUX من أقدم مدن فرنسا ، تقع على نهري LA GARONNE و LA DORDOGNE اللذين يكونان LAGIRONDE. D.E.H1/.841

(39) نهر الجارون : ينبع هذا النهر من جبال البرينيه الإسبانية ، طوله 647 كلم ، يخترق عدة مدن فرنسية منها : Bordeaux ، Agen ، Toulouse..D.E.H.2/552

(40) البيت للوزير ابن الحمارة الأندلسي ، وقد ورد في كتاب . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 1 : 205 .

(41) تعشو : عشوته : قصدته ليلا : لسان العرب : عشا .

(42) حلق النهر : مدخله .

[بسيط]

وكل أمــــر له قــــوم به عـــــرفــــوا

فـــــاندب لـكل مــــــهـم أهل بلـواه

وبهذه الحكمة أرشدت الشريعة ، ففي الحديث . «استعينوا على كل صنعة بأهلها»[45] ، أورده السيوطي في . «الدرر المنتثرة» بسند فيه انقطاع ، قال : «وأورد ذلك الثعالبي في كتاب . اللطائف واللطف[46] ، فقال : ذكر إسنادا يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، فذكر الحديث»[47] .

ثم لما فتحت الديوانة[48]/ على الساعة الثامنة ، نزلنا إليها ، و اشتغل المكلفون هناك بفتح حقائب المسافرين وإجالة أيدي التفتيش في أمعائها وفق القوانين المقررة ، ولم يسْلم من ذلك البحث إلا أمتعتنا وعِيابنا[49] بفضل رسالة مفتوحة كنا مزودين بها من طرف الإقامة العامة بالمغرب ، ولما رُمنا الخروج إلى المدينة أخذ الحمالون يقدمون إلينا بطائق فيها أسماؤهم من وراء سياج هناك ؛ رغبة الإيثار بنقل الأمتعة ، وبعث إلينا شيخ المدينة ، وهش وبش لاستقبالنا ، وكلف بنا من يوقفنا على المهم من مآثر المدينة وآثارها وفق ما أمر به من طرف وزارة الخارجية الإفرنسوية ، فذهب بنا إلى قنطرة نهر الجارون ، وهي قنطرة رائقة الجمال منصوبة على عدة أقواس ، غاصة بالمارة والسيارات ، إذ ليس للمرور غيرها ، ورأينا الصّيادة[50] به ، وهي على كيفية لطيفة ؛

---

(43) بيلوط : Pilote : دليل .

(44) القنب . ضرب من الكتان . لسان العرب . قنب .

(45) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، ص : 39 .

(46) ورد ذكره في . سير أعلام النبلاء 289 : 9 .

(47) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، ص : 39 .

(48) جمرك ديوانة . Douane .

(49) عياب : جمع عيبة ، وهي وعاء من أدم يكون فيها المتاع . لسان العرب . عيب .

(50) الصيادة . يعني عملية الصيد .

يركب الصائد زورقا منصوبة فيه آلة لرفع الأثقال (لاگري)[51] بمخطافها شبكة كبيرة إذا قذفها في الماء انفتحت أطرافها ، ثم إذا أخذها إليه انضمت على ما صادفت من الأسماك ، فيلتقطه منها ، ولم أر في أساليب الصيد أسهل ولا أدعى للنشاط من هذه الطريقة . ثم ذهبنا لسماع الأغاني والألحان من الفنوغراف[52] ، فدخلنا إلى قاعة غاصة بالمستمعين وهم مصطفون على الكراسي ، وقد أهوى كل واحد بأذنيه إلى سماعتين ، ورؤوسهم مطأطأة كأنهم أسلموها إلى الحلاقين ، فقدم المكلفون إلينا كناشا به أغان عربية لنقترح منها [ما] [53] شئنا ، وطريق السماع منها أن تلقي في نقب هناك قدرا من النقود معلوما ، ثم تجعل السماعة في أذنك مع رسم نمرة54 الغناء الذي طلبته ، فشنفنا الأسماع بما رق وراق من الأناشيد المغربية .

وفي المساء ذهبنا إلى الملهى الكبير (گراند تياتر)[55] بطلب من شيخ المدينة ، وذكروا لنا أنه أرقى ملهى في العالم من حيث/ الإتقان والإجادة ، ولا تسل عما صاغته فيه أيدي البنائين ، وزخرفته أنامل الرسامين ، وقاعته مُحدقة برواشِن[56] بارزة ، يدخل إليها المتفرجون من خارج ، وألفينا على المرسح[57] عددا كثيرا من الممثلين والممثلات بأقمشة مزركشة وألوان مختلفة قد ضاعفت الأشعة الكهربائية لمعانها ، فصارت تعشي البصر ، وتدهش من حضر ، ولهم نشيد ورنين ، وللموسيقيين تطريب وتلحين ، إلى مطارحة ذكران ونسوان ، وأزياء ﴿ما أنزل الله بها من

---

(51) لا~ري . La Grue .

(52) الفنوغراف . Phonographe .

(53) ساقط من الأصل ، والإضافة يقتضيها السياق .

(54)نمرة .Numéro . رقم .

(55) ~راند تياتر . Grand Théâtre .

(56) الرواشن : جمع روشن . كوة . لسان العرب . رشن .

(57) مرسح . مسرح ، ويبدو أن هذا المصطلح قد وفد من المشرق تماما كما وفد فن المسرح ، وقد كان شائعا في العقود الأولى للقرن العشرين ، أنظر . «حول التمثيل المغربي» ، الأوراوي ، جريدة السعادة العدد : 3252 : 1919 .

سلطان﴾[58] ، حتى خيل لي أني في عرش بلقيس أو في عالم الأباليس[59] ، فما كان أحرى المقام بقول أبي الطيب :

[وافر]

مـــلاعبُ جنة لو ســـار فـــيـــهـــا
سليْـــمـــان لـســار بتـــرجـــمـــان[60]

وعند انتهاء ذلك الدور نزلنا إلى ما وراء الستار ، فإذا الممثلون يتهيئون للدور الثاني ، فمنهم من يموه وجهه بالأصباغ ، ومنهم من يلزق لحية صناعية ، وعليهم ملبوسات قديمة لتحقيق صورة الواقعة التي هم بصدد تمثيلها .

ومما استحسناه في بوردو وغيرها من الديار الإفرنسوية ترتيب الشرطة حيث يزدحم الناس ،كالملاهي ، فترى رجال الشرطة يتخللون الناس إذا خرجوا للاستراحة عند انتهاء الدور ، محافظة على تمام الهدُوّ والنظام ، ولقد رأيت بعض الناس تعاطى الدخان في غير المحل المعد له ، فلم يرعه إلا الشرطي أمامه ، فأخذ يعتذر إليه بأن محل التدخين مغلق . وهذه المدينة نظيفة الأزقة ، جميلة المناظر ، شامخة البنيان ، يخترق الترمواي[61] الكهربائي شوارعها ، ويستمد القوة من أسلاك ممتدة هناك ، إلا أن جوها عرضة للضباب ، وتراكم السحاب ، وتوالي الأمطار . ذكر لي بعض أهلها أن المطر يدوم نزوله بها لثمانية أشهر من السنة . وبها سوق عظيم للأقوات يشغل طوله والعرض مساحة كبيرة من الأرض ، وقد انهال عليه من أنواع الفواكه والثمار والبقول واللحوم والأسماك والحلويات/ والأزهار ما تحار فيه الأنظار ، وجل الباعة فيه من النسوان الغيد الحسان ، وتجد حواليه كثيرا من الكواعب كالكواكب ، يطُفْنَ بأطباق أو

---

(58) يوسف . 40 ، النجم . 23 .

(59) يشير إلى ما ورد في الآية الكريمة : ﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾ ، النمل . 39 .

(60) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ص : 590 .

(61) الترمواي . Tramway وهو وسيلة نقل داخل المدينة تسير على سكة وتعمل بالكهرباء .

موائد يحملن فيها الخضر والفواكه والأسماك ، ويعرضن ذلك على المارة . وترى أهلها يعجبون بز الغريب بخلاف الباريزيين فقد أنسوا بزي المغاربة ، فلا يلتفتون إليه إلا قليلا ، فكنا إذا مشينا كانوا خلفنا ، وإذا وقفنا أحدقوا بنا ، و حلقوا حولنا ، وخصوصا السيدات والخرائد[62] والممسودات[63] فإنهن يعجبن

بشكلي ، ويغالبهن الضحك ، بينما أنا أعجب من حسنهن ورقتهن وتثنيهن .

[وافر]

كــــلانا ناظـر عـــجـــبـــا ولكـــن
عـجـبـت بشكلهـا وتغث[64] بحـسني[65]

ومما يستلفت الأنظار بهذه البلدة أنك مهما أممت ساحة أو ميدانا أو مصنعا أو شارعا أو فسقية[66] إلا واستقبلتك التماثيل منصوبة لأعاظم رجالهم وكبرائهم ، ولتصوير بعض الوقائع المهمة ، كالثورة الإفرنسوية التي أعقبتها الجمهورية بنفس المحل الذي وقعت فيه تخليدا للذكر ، وحملا على التنافس في خدمة الوطن .

وكان نزولنا بأُتيل[67] نيس ، وغرف النوم في هذه المدينة ، وكذا في باريز ، نظيفة مجهزة بالتلفون[68] أو الجرس الكهربائي لدعاء الخادم ، والماء الحار والبارد ، والضوء الكهربائي ، وأنابيب الاستدفاء ، ويرتقى إليها بالآلة الرافعة[69] . وعلى الساعة

---

(62) هذا من باب إعطاء الناس فضل الزمام ، ويصد عن الخنا الإسلام (هامش للمؤلف) .

(63) الممسودات . جارية ممسودة : مطوية ممشوقة : لسان العرب . مسد .

(64) يقال تغث الجارية الضحك . أرادت أن تخفيه ويغالبها (هامش للمؤلف) .

(65) يقترب البيت كثيرا من بيت ابن المستوفي الإربلي الشهير : كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني أنظر : ديوان الصبابة ، ص : 230 .

(66) فسقية . نافورة ، وقد استأثرت فساقي فرنسا باهتمام الرحالة العرب ، أنظر : السفر إلى المؤتمر 276-277 .

(67) أتيل : Hôtel : فندق .

(68) التلفون . .Téléphone

التاسعة من يوم السبت ، غادرناها إلى باريز ممتطين ظهر القطار الحديدي .

والقطار بهذه الديار يجري بسرعة زائدة في سكة عريضة ، وعرباته الكثيرة تشتمل على عدة بيوت[70] ، كل بيت يسع ستة ، وجميع بيوته مجهز بما يحتاج إليه المسافر من الضوء الكهربائي وآلة للتدفئة أو التهوية[71] حسب إرادتك ، وأخرى للاستصراخ عند حدوث خطر[72] ، إذا جذبت زرها وقف القطار حينا ، وبه كتابة جميع الإرشادات اللازمة/ وهناك أيضا المطعم والقهوة[73] والمستراح ، فسرنا نخترق تلك الأراضي الخصبة التي اشتبكت المياه بتربتها اشتباك العروق بالجسد ، أو الروح بالشبح ، ما بين قرى ورياض ، ومزارع وحياض ، وكروم رائقة التنسيق ، لطيفة التصفيف .

ومن الجدير بالالتفات أن الكروم عندهم قصيرة القامة جدا لا يسمحون لها بإرسال أعنة الفروع والأغصان نحو السماء ، وبهذه الطريقة لا تتصرف العصارة في الأوراق والأغصان ، بل تتجمع كلها إلى العناقيد ، فتزكو وتنمو ، وكثيرا ما يغرسون أشجار الصفصاف على جداول الأنهار ليمنع تراب الشواطئ من الانمياع والانهيار . ومما يوجب الالتفات أيضا أن للفلاح الإفرنسوي شغفا زائدا بتحسين المناظر ، وتجنيس النباتات والأشجار ، وتدبيج ألوان الأزهار ، بخلاف الفلاح المغربي فإن همه مجرد الاستنتاج من مزارعه الفيحاء الشاسعة الأرجاء ، مستدرا الخيرات وينبوع البركات . وذكر لي بعض الوطنيين هناك أن للفلاح الإفرنسوي من محصولات أرضه من حبوب وخضر وفواكه ومشروبات وماشية ما يقوم به أود معيشته ، فتراه مُكبا على بقعته صباح مساء ، وبذلك يمكنه التوفير ، إذ لا يند عن جيبه إلا النزر اليسير .

ثم إن القطار لا يقف إلا في محطات المدن وبعض القرى التي يخترقها ، ووقوفه

---

(69) الآلة الرافعة : L'ascenseur : المصعد .

(70) بيوت : يعني غرف . عامية مغربية .

(71) آلة للتدفئة أو التهوية : Climatiseur : مكيف الهواء .

(72) يقصد المؤلف زر طلب الإغاثة . Signal d'alarme .

(73) القهوة . المقهى . عامية مغربية .

لا يتجاوز بضع دقائق لينزل النازل، ويركب الراكب، والمدن التي يقف بها هي . (أنكوليم)[74] ثم (كواتيي)، وهي موضع المعركة التي كانت بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مارتل[75] عام 114 هجرية، وهي الواقعة الفاصلة بين العرب والإفرنج القاضية برجوع العرب إلى الأندلس[76]، وجعل جبال البيرني حدا فاصلا بين الفريقين، ثم (طور)[77] على نهر أنوار آخر نقطة انتهى إليها العرب الفاتحون، ثم (أورليان)[78] . ثم على الساعة/ السادسة مساء حللنا مدينة باريز ما أدراك ما باريز، بهجة الدنيا ومنبت الحضارة، ومهد الرقي ومنبثق العلوم، ميدان سوابق الأفكار، ومجلى سوانح الأنظار، ديوان المبتدأ والخبر[79]، ومرآة ما حضر وما غبر.[80]

[وافر]

ولكـن الفَـتى العـربي فـيـها
غـريبَ الوجـه واليـد واللسـان[81]

(74) أن~وليم . Angoulême تقع على وادي D.E.H1/.45: Charente

(75) أنظر في شأن شارل مارتل Charles Martel وهزمه للفاتحين العرب سنة 732م : D.E.H 3/1001

(76) جرت أحداث معركة ~واتيي Poitiers التي تسمى في الكتابات العربية معركة بلاط الشهداء في رمضان سنة 114هـ/ 732م، وقد استشهد فيها القائد العربي عبد الرحمن الغافقي. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص : 193 .

(77) طور : Tours تقع على نهر Loire (أنوار) . D.E.H 3/1282

(78) أورليان : Orléans تقع على نهر لوار . D.E.H. 3/1282

(79) إشارة إلى كتاب عبد الرحمن ابن خلدون الشهير : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

(80) يقترب هذا الوصف الذي ساقه المؤلف لباريس كثيرا مما ورد في كتاب . البرنس في باريز، حيث « قال الشيخ ابن أبي الضياف شيخ المؤرخين التونسيين وقد زارها منذ سبعين عاما [ق 19]، باريز وما أدراك ما باريز، وهي الغانية الحسناء الباسم ثغرها في وجوه القادمين، مشحونة بأعاجيب الدنيا، جامعة لأشتات المحاسن، ينطق لسان عمرانها الزاخر . . . وقال الشيخ بيرم أول رؤساء الأوقاف الذي رحل إلى باريز أواخر القرن المنصرم [ق 19] ؛ أي منذ جيل : باريز وما أدراك ما باريز، هي نزهة الدنيا وبستان العالم الأرضي وأعجوبة الزمان . . .» أنظر : البرنس في باريز، ص : 169 .

(81) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ص : 590 .

واللباس أيضا ، فنزلنا بالمحطة وإذا هي مكتظة الجوانب بالواردين من كل جانب ، ومن غريب ما شاهدته بها درج للخروج تستخدم بالكهرباء تدور دورانا دولابيا ، فما بينك وبين الارتقاء إلا أن تضع رجليك معا أسفل الدرج فتجد نفسك أعلاها ، إنما عليك أن تكون قصير الثوب خفيف الوثب ، على أن القوم توصلوا بقوة الكهرباء إلى غاية لولا ما يبهر العقول كل يوم من غريب المخترعات ، لقلت ليس وراءها وراء ، ولله در أحمد زكي حيث يقول في وصفها . «وقد ظهرت بها خوارق العادات ومنتهى المعجزات ، فلا يكاد الباحث يجد من الوقت أو الورق أو العقل ما يكفي لوصف أو معرفة ما أبداه[82] الإنسان بواسطتها من خبايا المكنونات وغرائب الأعمال ؛ فهي طلسم الطلاسم وسر الأسرار ، يسخرها العقل في الإتيان بما لم يكن يحلم به الأولون ، حتى أهل الخرافات والأقاصيص»[83] .

ووجدنا في استقبالنا[84] جناب السيد عبد القادر بن غبريط[85] رئيس جمعية أوقاف الحرمين الشريفين ، والمهندس المكلف ببناء المعهد الإسلامي وأخذ المصورون هناك صورتنا بالفتغراف . المحتوي على المانزيوم[86] ، حالا على هيئة السفر ، ثم ركبنا السيارة الأوتوموبيل لمحل النزول ، وهي المركب الوحيد للتجول والانتقال بباريز ، وليس بها عربات تجرها الخيل ، أما الترمواي أو المترو[87] أو الأتومويرس فهي مراكب للعموم ، ومجالها معلوم ، ولا يمكن أن تكون طوع يدك وتحت إشارتك . والمحل الذي أعد لنزول

---

(82) في الأصل . براه .

(83) الدنيا في باريس ، ص : 143 .

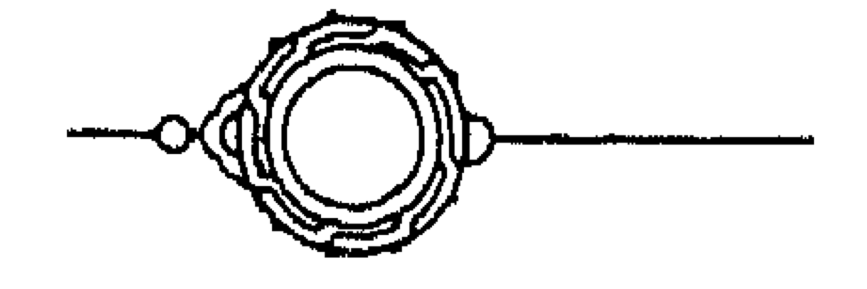
(84) ورد خبر هذا الاستقبال في جريدة السعادة بتاريخ : 1922/03/03 .

(85) أصله من تلمسان ، استهل حياته ترجمانا قبل أن يتدرج في المناصب إلى أن صار رجل فرنسا في المغرب ، (ـ 1954) ، معلمة المغرب 2/ 619-621 .

(86) المانيزيوم : Magnésium : معدن صلب . الكامل الوسيط ، ص : 559 .

(87) المترو . Métropolitain . سكة الحديد في الحاضرة .

الوفود الثلاثة هو الخان المسمى نوفل أوتيل[88]/ بشارع لافَايَط[89] ، وورد بعدنا الوفد الجزائري ثم التونسي ، أما الوفد الجزائري فهو مؤلف من الفاضل الألمعي النفاذة السيد مصطفى بن أحمد الشرشالي القاضي الموثق بتيزي وزو بعمالة الجزائر ، والفقيه السيد حمو قاضي مليانة ، وأما الوفد التونسي فهو مركب من وزير القلم السيد مصطفى دنگرة ، والعلامة النحرير المحقق السيد صالح المالقي أحد مدرسي جامع الزيتونة[90] .



كلمة على باريس

قال محمد المقداد الورتتاني في رحلته . «كانت باريز في القديم تسمى لوتايس Lutèceحيث منازل السكان حول المياه والمستنقعات ، وفي جزيرة نهر السائن التي بها الآن كنيسة نوتردام[91] ، ويطلق على السكان في القرن الأول قبل المسيح ليبريزيي ، وبعد انتشار السكان حول النهر [أطلق على المدين] [92] في القرن الثالث اسم[93] باريز وصارت قاعدة للملك على عهد كلوفيز في القرن الخامس»[94] .

وقال صاحب كتاب السفر إلى المؤتمر . «هذه المدينة يشقها نهر السين إلى نصفين يكادان يكونا[95] متعادلين ، وهي منقسمة إلى ثمانية خُطا[96] ، بضم الخاء ، في

---

(88) نوفل أتيل : Nouvelle hôtel .

(89) لافايط . La Fayetteلعل هذا الشارع سمي باسم (5771-4381) Gilbert La Fayette ، أحد أهم الساسة الذين لعبوا دورا هاما في الثورة الفرنسية : D.E.H.2/.617

(90) أوردت جريد السعادة أسماء أعضاء هذه البعثة ، أنظر : جريدة السعادة بتاريخ : 1922/03/03 .

(91) كنسية نوتردام . Dame de Paris Notre . الكنيسة الكبرى المشهورة بباريس ، انتهت الأعمال الكبرى لبنائها نحو سنة 1250م .D.E.H.2/.098

(92) ساقط من الأصل ، والإضافة من رحلة الورتتاني .

(93) في الأصل : من ، وفي رحلة الورتتاني . م ، ورجحنا ما أثبتناه أعلاه لمناسبته السياق .

(94) البرنس في باريز ، ص : 170 .

(95) كذا في الأصل نقلا عن كتاب السفر إلى المؤتمر ، والصواب : يكونان .

(96) الخُطا : لعله أطلق الخطا على المجلس البلدي .

عشرين قسما ، على رأس كل قسم رئيس يعرف أمير المدينة (شيخ البلد) وثلاثة مساعدين ، وعلى رأس الجميع موظف عال لقبه مامور ضبطية السين ، وعليه القيام بوظيفة الأمير العام (شيخ عموم البلد)[97] . وعدد سكانها 2422669 نفسا ، ومسطح البقعة[98] التي تشغلها من الأرض فيما بين الحصون التي حولها عبارة عن 8000 هيكتار ، وطول محيطها 34 كيلومترا ، والحصون عبارة عن دائرة مزدوجة طولها 34 كيلومترا و 530 مترا ، وفيها 56 بابا للمدينة و 9 معابر تمر منها السكة الحديدية ، ومعبران لنهر السين ، وآخران لترعتين ، وطول الطرقات العمومية فيها هو 888000 متر/ ومسطحها عبارة عن 1532 هكتار ، وفيها أكثر من 8200 دارا ، وميزانيتها في السنة تبلغ 280 مليونان[99] من الإفرنكات»[100] .

وقضينا بهذه العاصمة العصماء أسبوعا شاهدنا فيه من عجائب المخترعات وغرائب المبتكرات ما زادنا معرفة بعظمة العلم ، وإن قدره لا يسام بسوم ، ورأينا مبلغ ما وصل إليه القوم الذين تفانوا في حب العلم ، ومنهم من قصر حياته على خدمته ، وبذلوا النفس والنفيس في اقتنائه ، وعانوه بكل صبر وجلد ، وقد تجسمت في مخترعاتهم ومصنوعاتهم علومهم الغزيرة المتنوعة تجسما باديا للعيان .

[بسيط]

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا
ولا ينالُ العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفوا بلا تعب
قضى ولم يقْض من إدراكها وطرا[101]

(97) شيخ عموم البلد . Le Maire .

(98) مسطح البقعة : يعني المساحة .

(99) مليونان : كذا في الأصل ، والصواب : مليونا .

(100) السفر إلى المؤتمر ، ص : 205 ـ 206 .

(101) ديوان صفي الدين الحلي ، ص : 69 .

[طويـل]

تـريـديـنَ إدراك المعـــالي رخـــيـــصـة
ولا بـد دون الشـــهـــد من إبر النحـل[102]

وذكـرت بهـذا الموضـوع خطبـة لي كنت ألقـيتـهـا بنادي المدرسـة العليـا[103] في التحريض على تعليم الأولاد ، وإليك المناسب لهذا المقام منها[104] : إن المغرب اليوم غيره بالأمس ، وإن ما يرسم في برنامج مستقبله لمومئ إلى مرام بعيدة ، وإن ما نشاهد به من امتـزاج العناصـر لأمـارة على نفخ روح جـديدة ، وإن النظر في العـواقب ثمـرة العقل ، وإنه يتمثل أمام عيني مستقبل ليست الحياة فيه بالتفوقات ولا بالأماني التي هي أحلام المستـيـقظ ، وإنما هي بنتـيجـة واحـدة قـد اندرجت فـيـهـا كل المقـدمـات ، وبمقصد واحد قد انطوت فيه كل الوسائل ، ألا وهو العلم/ .

فعلى كل فرد منا أن يجعل هذا نصب عينيه ، وأن لا يلقى ببـنيه أفلاذ كـبده في صدمات الدهر يتجلجل فيها من شق إلى شق ، وعليه أن يبذل النفس والنفيس في تغذيتهم بلبان العلم حتى يتعزز جانبهم ، ويقووا على حفظ كيـانهم ودينهم ولغتهم وشرفهم وأخلاقهم وأموالهم .

العلم يحرس الدين ، والدين هو جامعة الأمة وحياتها ، وإذا رأيت من أمة تقصيرا في سبله فأنذر بانقراضها أو تساهلا في العمل بمقتضاه ، فهيئ في أنقاض التاريخ زاوية لأنقاضها .

العلم يسـهر على حياة اللغـة ، ولغـة الأمة هي سلك الاتصـال بين أفرادها ، ومادة الالتصاق بين ذرات وجودها .

(102) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ص : 560 ، برواية . لقيانا بدل إدراك .

(103) نادي المدرسـة العليـا : يقصـد معـهـد الدراسـات العليا الذي صـار بعـد الاسـتـقـلال كليـة الآداب بالرباط .

(104) ورد نص الخطبة في كتاب : أحاديث عن الأدب المغربي الحديث ، ص : 58- 60 .

العلم يصون المال ، والجهل يبذره ، ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما﴾(105) .

الولد إذا لم يشب على العلم لا يلبث أن ينفض يده من تراث أبيه قبل أن ينفضها من ترابه .

ولا أرتاب في أن من العبث أن تكد لجمع أموال تخلفها لولدك وأنت تعلم منه أنه لا يحسن حفظها ولا تنميتها ، أو أن نفسه تطيب بإتلافها دفعة في سبيل شهوات خسيسة وأميال منحطة .

دع عنك هذه الفكرة ، وحصنه بدرع العلم ، ثم قدمه إلى صف معترك المعاش لا تخشى عليه هزيمة ، زوده بالنباهة والمقدرة ، ثم زج / به في بحر الحياة لا تخاف عليه غرقا ، ولا تخشى دركا(106) ، أسلمه إلى وصي خبير يقوم بتربيته وإصلاح شأنه وحفظ دينه وأدبه ، ألا وهو العلم الذي كل وصي دونه غير ثابت القدم ، وكل نصوح سواه غير مصغى إليه ، وكل سلطة دونه ضعيفة النفوذ .

هذا وليس العلم الذي نعني وحوله نُدَندِن(107) مجرد ألفاظ يتشدق بها ، أو أشعار يترنم بها ، أو حكايات يحاضر بها ، أو هو عبارة عن مصافحة الأوراق صباح مساء ، أو عن محفوظات تتلى ثم تملى ، أو عن حكاية قول فلان ومناقضة فلان ، لا والله ، بل العلم هو الغوص على مغازي المعاني ، ثم النفوذ منها إلى حيز العمل . وليس العلم مجرد الوقوف على الرسوم بالألحاظ ، والتنزه في محاسن المعاني من وراء زجاج الألفاظ ، كلا والله ، بل هو النفوذ إليها ومزاولتها حتى تلين بين البنان ، وتصبح صبغة للجنان . قيل للمهلب بن أبي صفرة : بم أدركت ما أدركت؟ . قال : بالعلم . فقيل له إن غيرك أعلم منك . قال : ذاك علم حمل وهذا علم استعمل .

وما أنفق الناس أعمارهم في سبيل العلم وقصروا حياتهم عليه لمجرد الحفظ

---

(105) النساء . 5 .

(106) إشارة إلى قوله تعالى . ؟ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخف دركا ولا تخشى؟ طه . 77 .

(107) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف . «حولها ندندن» . كشف الخفاء 440 : 1 .

والإملاء وربك بل للعمل ، وكل نظر لا تجتنى منه فضيلة ، ولا تجتنب به رذيلة ، فهو نظر عقيم ، أو قل مجرد حركة فكر ، وطرف بعين ، هذا وقد انهارت علينا علوم الأرض من كل سبب ، ونسلت إلينا علوم الأولين والآخرين من كل حدب ، وما كنا لنوليها انحرافا ، ولا لنأخذها جزافا ، وعلينا بتقديم الأهم منها فالأهم بحسب مقتضيات الظروف ، واستنبات ما تبكر أثماره ، وتبتسم لأول ربيع أزهاره ، وليس من الرأي ولا من الحزم الاشتغال بما تقل جدواه ، وترك ما لا نهتدي إلى سبل الحياة إلا بإضاءته ، ولا نخطو خطوة في المستقبل إلا تحت خفارته . وهنا نقطة يجب الالتفات إليها وهي أن كثيرا من الناس يرمون الأمة المغربية بوصمة الجهل الذي لا داء أدوأ منه ، وليث شعري لماذا إذا نحن نظرنا بعين الانتقاد فيما لديهم من العلوم / والمعارف تجلت أمامنا أمة ريا من علم الفقه وأصوله ، ريا من الحديث وأصوله ، ريا من التفسير وما إليه ، ريا من العربية بكل أنواعها ، ريا من التاريخ والميقات والحساب وغير ذلك . ولديها كفايتها أو بلغتها من الصنائع والحرف المهمة ، ولكن يعوزها شيء واحد ، وهو العناية بعلوم العصر من الطب والهندسة والحقوق إلخ ، ومزاولة العلوم الصناعية والميكانيكية إلخ ، ولا أرتاب في أن هذه العلوم قصيرة المدى قريبة المحيط من المركز بالنسبة إلى علومهم الجمة الغزيرة التي تنقطع أعناق المطي دونها ، أفلا يجعلون لأنفسهم سهما منها فنصبح وقد شاركنا أمم الأرض في علومهم ، وفضلناهم بمعلوماتنا الأخرى ، ونكون قد نفينا هذه الوصمة عن جانبنا ، وجلونا عن هذا البهق غرة محاسننا .

لا تقل إن هذا الأمر يحتاج ويحتاج ، لأن له طرقا تفضي إليه ، وأسبابا تدني منه ، ورأيي أن كل ما كانت له وسائل فهو سهل التناول ، إنما علينا أن نطرق أبوابه بكل ثبات وخبرة ، وليست تلك العلوم بدخيل فينا ، ولا بأجنبية فينا ، بل هي ، والله ، علوم آبائنا الأولين التي طالما تهاتفت بها أفكارهم ، وتهاتها أقلامهم ، ولكم كان في الإسلام من علماء أعلام برزوا وبرزوا في تلك الميادين ، ولعبوا دورهم فوق تلك المراسح ، وأيم الله ، لقد كانت تحلى بهم الخناصر في عد المهرة بعلم الجغرافيا والهيئة والطبيعيات والهندسة وسائر العلوم الرياضية ، ولقد أصلحوا من أغلاط اليونان ما أصلحوا ، واستدركوا عليهم من المخترعات ما استدركوا ، وقدموا تلك العلوم إلى العالم

أكلة شهية ، وعنهم أخذ الإفرنج الأرقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة الذي هو من وضع العرب ، أخذوه باسمه ومسماه[108] ، ولقد كانت لهم اليد/ الباسطة في علم الطب والصيدلة والكيميا الحقيقية ، وعنهم أخذها الأوربيون ، ولقد برعوا في الجراحة ، وكان النساء بالأندلس يباشرن كثيرا من العمليات الجراحية لغيرهن من الإناث ، وهذا مجال لا يقف الطرف منه على غاية ، ولسنا له الآن . وهذه كلية القرويين التي بين أظهرنا كانت في القرن التاسع هي الكلية الوحيدة لتلقي العلوم السامية ، وكان الطلبة يتقاطرون إليها من أنحاء أوربا و إنكلترا ، فضلا عن بلاد العرب الشاسعة ، للانخراط في سلك طلابها ، وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم ، أفلا نسترجع سالف مجدنا وآثار أجدادنا بهمتنا وجدنا ، فقد قال الحكماء : من استوطن الراحة لم يملإ الراحة .

ذكر نبذة من المآثر المهمة التي نزهنا الطرف في محاسنها خلال الإقامة بباريس
متحف اللو؟ري[109]

أعظم متاحف باريس ، وهو قصر عظيم فسيح مديد ، يحتوي على طبقات كثيرة وأقسام عديدة ، وصور دهنية[110] وتماثيل ونقوش جميلة ، وصنايع دقيقة ، ومصوغات جليلة ثمينة ، أسس في عهد فرنسوى الأول[111] سنة 1522 ، وكان أوفد رجلين من أهل المهارة في التصوير والنقش إلى إيطاليا ، مهد الآثار القديمة والفنون الجميلة للاستطلاع على أحسن الصور صنعا ، ،أجودها وضعا ، وصوغ مثلها من النحاس . ولما مات خلف شيئا كثيرا منها ، فنقلوه إلى المتحف ، ولم تزل نفائسه في تكاثر وازدياد بما يؤخذ إليه من متخلّف السلاطين ، أو ينال بالاشتراء ، أو يقدم إليه بالإهداء ، إلى ما

---

(108) يقصد المؤلف مصطلح . Algèbre.

(109) متحف اللوفر : Louvre Palais du يقع على ضفة نهر السين Seineاليمنى ، بني أول مرة سنة 1204 ، صار متحفا وطنيا سنة 1791 : 2E.H../761.

(110) صور دهنية : يقصد لوحات زيتية .

(111) فرنسوا الأول : (FranÇois I 1494-1547م) . 2E.H../537.

جلب إليه نابليون من إيطاليا لما استولى عليها وهوْ عدد كثير جدا ، وإن رد على أهله منه ما رد .

ومن بين أقسام هذا القصر/ قسم المصوغات النفيسة والأحجار الكريمة ، فيه حجرة من الديمانط(112) يسمونها ريجا(113) تبلغ زنتها 136 كارا(114) ، ويقدرون قيمتها باثني عشر مليونا ، اشتُريت سنة 1717م ، وعقد جوهر تبلغ حباته حجم الحمص ، يقدرون قيمته بثلاثة ملايين ونصف ، وسيف قبضته مرصعة بنفيس الحجارة البيضاء تتلألأ تلألؤا عجيبا ، وتاج مرصع بالأحجار الكريمة ذات الألوان المختلفة ، وغير ذلك مما يلزم لاستيفائه دليل ثَقِف نشيط ووقت وافر مديد ، وقد ترددت لهذا المتحف مرارا أجده فيها مغلقا ، ولما أتيح لي الدخول إليه انتخبت ، لسوء الحظ ، دليلا أكل الدهر عليه وشرب ، وباض اقتران الليالي والأيام في ثغامة(115) هامته وأفرخ ، فكنت أخطو خطوات واسعة بغاية السرعة وأنا في غاية التعطش لأحظى بمشاهدة كثير من أقسامه وطبقاته ، وهو ولله الأمر من قبل ومن بعد ، لا يزال في مكانه ، أبطأ من السلحفاة ، إن لم أقل إنه يسير إلى خلف كسرطان البحر .

وقسم الآثار القبطية ، وهو مشحون بعجائب الآثار التي نقلت من مصر ؛ منها صورة عظيمة نقلت من مصر تسمى أبا الهول لها وجه إنسان وأجنحة نسر وقوائم أسد ، وهي لتمثيل القوة والعقل ، يبلغ علوها متران وكسر(116) ، وامتدادها أربعة مياتر غير كسر ، وجثة رعمسيس الثالث أحد فراعنة مصر ، وهي بغرفة هنري الرابع . إلى غير ذلك من مآثره العتيقة ، بحيث يمكن الواقف عليها أن يعلم كيف كانت حالتهم ومعيشتهم في ذلك الوقت العريق في القدم .

وقسم الآثار السورية من جملة ما فيه صورة عجل وجهه كوجه الآدمي ، كانوا

---

(112) الديمانط : Diamant : الألماس .

(113) ريجا . Le régent .

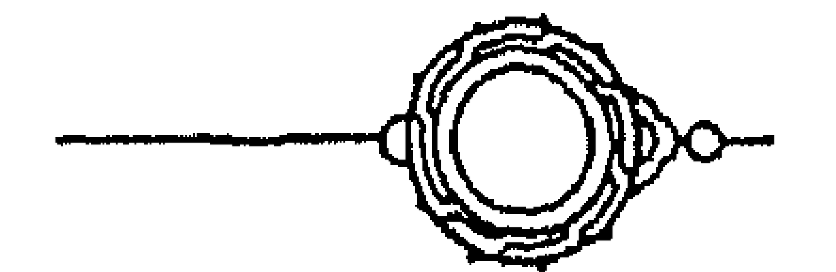
(114) كارا . Carat . قيراط .

(115) ثغامة . الثغام نبات يبيض بياضا شديدا شُبه به الشيب . لسان العرب . ثغم .

(116) وكسر : يقصد وبعض المتر .

يعبدونه ، وعليه اسم ملكهم ، وهو ساركون[117] ، ولا يبعد عندي أنه مثال العجل المذكور في القرآن[118] .

وهناك غرفة مخصصة بآثار الفنيقيين وقبورهم ، وكل ذلك قبل استيلاء اليونان على بلادهم / والقبور المنقولة إلى هذا المتحف عبارة عن توابيت منحوتة من الحجر يجعل بالقسم الأسفل منها الميت ، ويطبق عليه القسم الأعلى المنقوش عليه صورة صاحبه .



ليزان؟اليدا[119] وقبر نابليون

أسس في عهد لويز الرابع عشر[120] في أواخر القرن السابع عشر ، وجدده بعده عدة ملوك ، وهو ملجأ مشهور مخصص بالعساكر ، وكل جندي قضى في الخدمة العسكرية ثلاثين سنة فله حق الالتجاء إليه ، وقد التجأ اليوم إليه جم غفير من المصابين والناقصي الأعضاء في هذه الحرب الكبرى ، وكنت رمت الدخول عليهم ، ثم نهنهت نفسي لما ذكر لي أنهم يتضجرون من ذلك ، وبه عدة مدافع أخذها الإفرنسيون في الحرب الجزائرية[121] ومن الألمان في حرب السبعين[122] ، وبعض

(117) ساركون . SargonII (ـ 705 قبل الميلاد) . . .1149E.H..

(118) إشارة إلى قوله تعالى . ؟واتخذ قوم موسى من بعد من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين؟ الأعراف : 148 .

(119) ليزانفاليدا . Les Invalides : المعلمة الأثرية المشهورة بباريس ، أنشئت أولا بمبادرة من لويس الرابع عشر سنة 1760 ، ثم أكملت بين 1679 و 1706 . أنشئ فيها قبر نابليون الأول 1840 ، و بها مرقد مشاهير الضباط الفرنسيين : . 2E.H../672.

(120) لويز الرابع عشر . Louis XIV من أشهر ملوك فرنسا (1638 ـ 1715) دام ملكه 72 سنة . 2E.H../759.

(121) أشار محمد المقداد الورتتاني في رحلته إلى أنه شاهد في هذا الموقع «كثيرا من المدافع والرايات المأخوذة من الأمم ، وعلى بعض المدافع كتابة عربية» ، أنظر : البرنس في باريز ، ص : 319 .

(122) حرب السبعين . حرب فرنسا ضد ألمانيا 1870 ، أسفرت عن إبرام معاهدة فرانكفورت 1871 التي تخلت بموجبها فرنسا عن الألزاس واللورين D.E.H. 2/530

الطيارات[123] التي كانت تلقي القنابل على باريز في الحرب الكبرى ، وتمثال للجنود الذيـن هلكـوا في الطيارات عند العراك الجوي ، وبه العربة التي ركبها المريشال فوش[124] لعقد الهدنة مع الألمان ، وبه كنيسة نصبوا على مشرفها جميع الرايات التي غنمها القوم من جيوش الدول التي انتصروا عليها ، وقد تلاعبت بها أيـدي الملويـن[125] فأصبح جلها خرقا ممزقة ، ولكنها الآثار تحفظ . وهذه الكنيسة مخصصة لدفن الماريشلات[126] ومديري هذا القصر ، وبجانب منها عن يسار الداخل صورة من الأصباغ لشخص ميت وقد علته صفرة الموت ، وهو مطعون في خاصرته ، وبمحل الطعن أثر الدم ، وقد بلغت الصورة من إتقان الصناعة وجودتها حدا ليس عليه من مزيد ، بحيث تخالها وهي من وراء الزجاج صورة حقيقية يمثلون بها سيدنا عيسى كلمة الله ، ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾[127] .

وخلف هذه الكنيسة قبة بها قبر نابليون بونابرت ، ومعلوم من تاريخ حياته أنه كان التجأ إلى الإنگليز[128] فنفاه إلى جزيرة سانت إيلان[129] (القديسة هيلانة) بغرب/ الأقيانوس الأطلانطيك إلى أن مات بها . وفي أيام لويس فيليب[130] رغبت فرنسا في نقله إلى باريز ، وأجابت إنكلترا إلى ذلك ، فأرسل الملك ابنه في

---

(123) الطيارات . يقصد الطائرات . عامية مغربية .

(124) فوش : (Ferdinand Foch) من رجال الجنرال جوفر بطل معركة لامارن في أكتوبر 1914 ، تولى أمر القيادة العامة للحلفاء في مارس 1918 وقادهم إلى هزم الألمان D.E.H. 2/514

(125) الملوان : الليل والنهار : لسان العرب . ملا .

(126) الماريشالات : Maréchal : جمع ماريشال .

(127) النساء . 157 .

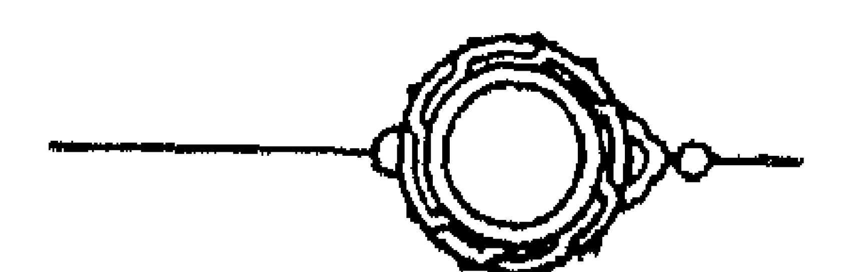
(128) نفي نابوليون بعد هزيمته في معركة واترلو الشهيرة إلى جزيرة سانت إيلان Sainte Hélène ، أنظر : Napoléon ، Eric Delmotte ، Marabout ، Alleur (Belgique) ، 1990 . D.E H. 2/.852

(129) سانت إيلان . . Sainte Hélène

(130) لويس فيليب . Louis Philippe I ملك فرنسا بين 1830–1834 : D.E.H.2/.067

بارجـــة[131] ، وجيء بجثته إلى هذا المحل ، ودفنوه في احتفال عظيم لـم يشاهد منه في فـرنسـا قط ، وقـد حـضـره مليون من الخلق ومـائة وخـمـسـون ألفـا من العـسكر ، والسلطان وحاشيتـه وجميع عظمائهم ، ولا تسل عـما بهـذه القـبة من أحجار المرمر المجزع وغيره ، وعما شيد به من عجائب الصور الدقيقة الصنع ، وهو في تابوت من الصوان الأحمر تحدق به تماثيل أصدقائه ، ود رسموا بالذهب على باب هناك ينفذ إلى القبر الكلمات الأخيرة التي فاه بها ، وترجمتها : أتمنى أن تدفن عظامي على ضفاف نهر السين في وسط هذه الأمة التي أحببتها حبا جما[132] .

ومن أعجب ما هنالك زجاج كيماوي مجعول على نافذتين عظيمتين يرسل لونا مصفرا كأشعة الشمس بحيث يخيل إلى الناظر أن الشمس من ورائه مشعة . قال لنا الدليل إن تلك الإضاءة ترى من نفس الزجاج دائما ولو في حال نزول الثلوج ، وقد كان الجو مغيما وشاهدناه على تلك الإضاءة .



برج إيفل[133]

هو أعلى منارة في العالم ، يبلغ علوه ثلاثمائة متر ، وبعده آخر في نيورك[134] ، يبلغ 299 ، ابتدئ بتشييده في 28 يناير 1887 ، وتم في 31 مارس 1889 ، وثقله سبعة ملايين كيلو ، وهو مركب من اثني عشر ألف قطعة محكمة الاتصال ببعضها ، وله قوائم أربع في غاية العظم تسامت كل واحدة منها جهة من الجهات الأربع (الشمال والجنوب) ، وفي كل أسبوع يُرتقى إليه من إحدى تلك القوائم مناوبة ، وبه ثلاث طبقات يصعد إليها بالآلة الرافعة ، ويشرف من هذا البرج على تسعين كيلومترا مما

---

(131) يقصد البارجة La belle poule .Napoléon..37

(132) أثبت هذه العبارة أيضا أحمد زكي ، أنظر : السفر إلى المؤتمر ، ص : 236 .

(133) برج إيفل . Le tour de Effelالبرج المشهور بقلب باريس ، بني ما بين 1887–1889 : D.E.H.2/ ..524

(134) نيورك . يقصد نيويورك New yorke .

حواليه ، وفيه يقول السيد صالح سويسي[135] :

[كامل]

فالصرحُ مد إلى الكواكب كفه
فصبا عطاردها إليه وسلما
أوحى لا يفل علمه أن ابن لي
صرحا يكونُ على العلومِ مترجما[136]

ذكر بعضهم أن المخابرة تجري بين أعلاه وبين بحيرة تشاد بواسطة التلغراف[137] اللاسلكي في ظرف ست ساعات[138] ، ولما ارتقينا إليه جلسنا نحو ثلث ساعة بالطبقة الثانية بقصد الاستراحة والإشراف على منظر المدينة ، وتناولنا هناك القهوة وبعض الحلويات ، ومما أنبهك إليه ، ولعلك تحس به ، أن الصعود في الآلة يكون على ضرب من السرعة بخلاف النزول ، فعلى ضرب من البطء حذرا من انضغاط الهواء وضيق التنفس .

وبهذا البرج عدة أمور كالمطعم والقهوة ومحل التصوير وحوانيت لبيع أدوات متنوعة كلها له علاقة ومساس بهذا البرج ككونها على صورته ، أو بها صورته يشتري منها الزائرون تذكارا للزيارة ، وهكذا تجد في كل متحف أو محل أثري كتب تصاوير فتوغرافية[139] لمشاهد ذلك الموضع أو غيرها مما له علاقة به ، حتى إذا وفد السائح إليه واندهش من تلك العجائب والمناظر الجميلة تاقت نفسه إلى حفظ صورها ، وتلك الفرصة لبيعها . على أن الأوربيين بلغوا من التفنن والاحتيال في ترويج بضائعهم

---

(135) صالح السويسي القيرواني : أديب شاعر ، ولد بالقيروان سنة 1878 وبها نشأ ، يعد في أوائل من طرقوا الموضوعات الاجتماعية والوطنية من أدباء تونس ، توفي سنة 1941 . الأعلام 191 : 3 .

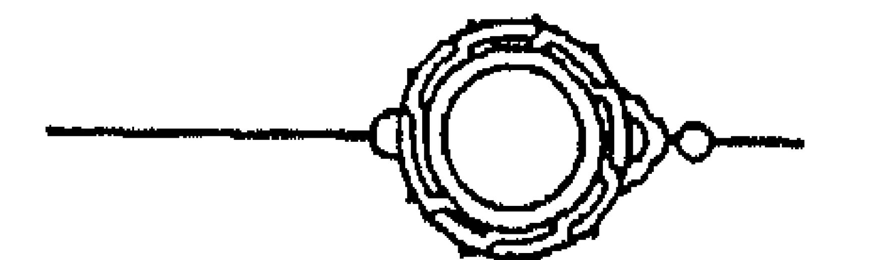
(136) البرنس في باريز ، ص : 239 .

(137) التلغراف . Télégraphe .

(138) يستقي المؤلف هذه المعلومات من كتاب . البرنس في باريز ، ص : 239 .

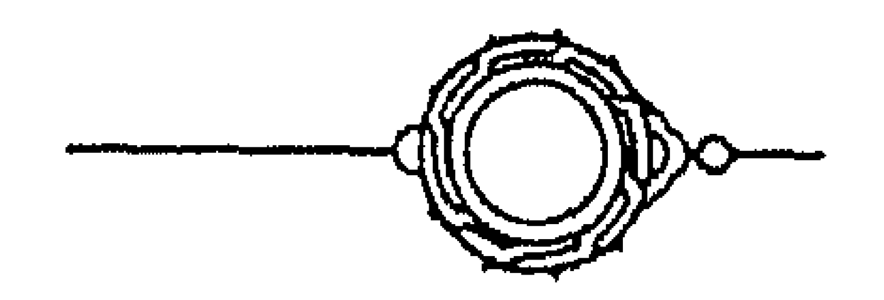
(139) فتوغرافية . .Photographies

ومصنوعاتهم والإعلان عليها حدا غريبا مدهشا ، وربما كان هذا الكلام مني على وجه التفكه ، والحقيقة أن المقصود من تلك الصور معرفة ما بذلك المتحف مثلا من المشاهد والمناظر قبل الدخول ، وذلك مما يدعو إلى الاستقلال فيحسن إذا شراؤها من قبل .



أغرب مايسمع

ذكر صاحب السفر إلى المؤتمر أن قوة ضغط الرجل على الأرض إذا جلس على الكرسي ، مثلا ، أكثر من ضغط هذا البرج الهائل ، «وذلك أن قوة الضغط تكون باعتبار ثلاثة أو أربعة كيلوجرامات بالأقل عن كل سنتيمتر مربع ، بخلاف البرج فإن تأثيره على الأرض هو باعتبار كيلوجرامين اثنين فقط ، مع أن ثقل البوية[140] / التي على جدرانه قد قدرها العلماء بنحو 30 طونولاطة [141] ، وقرروا أن مجموع وزنه من غير البوية يعادل 7 مليون كيلو جرام ، وقالوا إن الهواء الموجود في قصر الآلات يزن ربع هذا المقدار مع لطافته ، فيا للعجب العجاب من غرائب[142] الإحصاء و الحساب»[143] .



كم يعيش هذا البرج

قد تساءل كثيرون عن المدة التي يمكن أن يعيش إليها هذا البرج الحديدي العظيم ، وجواب مؤسسه المهندس إيفل[144] أنهم إذا داوموا على الاحتياطات الشديدة التي يتخذونها الآن لمنع الصدإ ، فإن برجه يعيش زمنا لا حد له ، وهذا المهندس يقطن في

---

(140) البوية . Pigment يقصد الدهن .

(141) طونولاطة : Tonnelet : برميل صغير .

(142) في الأصل . غريب .

(143) السفر إلى المؤتمر ، ص : 280 ـ 281 .

(144) إيفل . (1923-1832) Gustave Eiffel رائد النحت المعماري على الحديد D.E.H.2/.524.

باريس في أعلى دور من ذلك البرج حيث خصص بصنع غرف لإقامته ، وهو الآن في التاسعة والثمانين من عمره ، ذُكر ذلك في الجزء الأول لسنة ثلاثين من المنار[145] .



قوس النصر[146]

أعلى قوس يوجد من هذا الجنس يبلغ علوه 45 متر و33 سنتيمتر ، وعرضه 40 و33 ، ابتدئ تأسيسه في عهد نابليون الأول لسنة 1806 لأجل تخليد ذكر فتوحات الجيوش الإفرنسوية وإحياء مفاخرها ومآثرها ، وأتم تشييده في عهد لويس فيليب ، ومبلغ ما أنفق عليه تسعة ملايين ، وقد أودعوا نقوشه البارزة صور عدد كثير من المعارك ، منها معركة أبي قير بمصر[147] ، ومعركة استيلاء الفرنسويين على الإسكندرية[148] ، ومعركة أسترليتس[149] وغير ذلك ، ونقشوا أيضا به أسماء المعارك المهمة وأسماء من شهدها من الجنرالات وعددهم 386 ، وجعلوا بداخله قبر الجندي المجهول ، وقد وضعوا عليه عددا كثيرا من أكاليل الأزهار ، ومعلوم اغتباطهم الغريب بإهدائها إلى القبور ، وهذا القوس بميدان يصب فيه اثنا عشر شارعا .

---

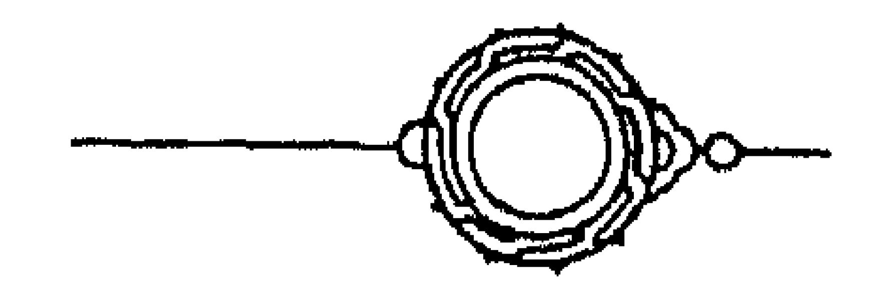
(154) صدرت مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا بمصر سنة 1898 .

(146) قوس النصر : L'arc de Triomphe بني سنة 49 قبل الميلاد على يد قيصر روما تخليدا لانتصاراته العسكرية على الغاليين ، أنظر : رحلة الصفار : هـ126 .

(147) أنظر : عجائب الآثار 198 : 2 .

(148) يستقي المؤلف معلوماته عن قوس النصر من كتاب . السفر إلى المؤتمر ص : 74 ، بل إنه يصوغ عباراته بشكل يقترب كثيرا من عبارات أحمد زكي .

(149) معركة أسترليتس . Bataille d'Austerlitz ، (1805/11/2) ، دارت رحى هذه المعركة بين قوات نابليون والقوات الروسية التي اندحرت في هذه المعركة : Encyclopédia Universalis



وهي عمود منحوت من حجر واحد[150] من الصوان وعليه نقوش كثيرة بقلم الهيروغليف[151] ، قلم الطير[152] ، يبلغ علوها 22 مترا و 83 سنتيمترا ، وزنها 250000 كيلو گرام[153] ، وهي إحدى المسلتين اللتين هما من عجائب مصر . قال في (حسن/ المحاضرة) : «هما شخصان من صوان ، طول أحدهما ثلاثمائة وثمانون ذراعا ، وهما مسلتا فرعون للشمس منصوبتان ، فإذا حلت الشمس أول درجة من الجدي ، وهو أقصر يوم في السنة ، انتهت إلى المسلة الجنوبية ، وطلعت على قمة رأسها ، ثم إذا حلت أول درجة من السرطان ، وهو أطول يوم في السنة ، انتهت إلى المسلة الشمالية وطلعت على رأسها ، وهي منتهى المسلتين ، وخط الاستواء في الوسط بينهما ، ثم تتردد بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة»[154] . وكان المرحوم محمد علي نافخ روح الحياة في القطر المصري انتزعها من موضعها وأهداها إلى لويز فيليب تذكارا لما انعقد بينهما من المودة ، فحملت عن طريق النيل إلى الإسكندرية ، ثم منها إلى طولون في سفينة مخصوصة ، وذلك سنة 1830 ، ثم نقلوها إلى باريز ونصبت في بطحاء كونكورد[155] (الوفاق) سنة 1836 ، في احتفال باهر حضره مائة وخمسون ألفا من الخلق والسلطان وما إليه ، ولم يقع أثناء نقلها ولا في حال نصبها أدنى حادث .

---

(150) أشار رفاعة الطهطاوي أيضا إلى المسلة التي أهداها الخديوي في عصر الرحالة المصري إلى فرنسا ، أنظر : تخليص الإبريز في تلخيص باريز 255 : 2 .

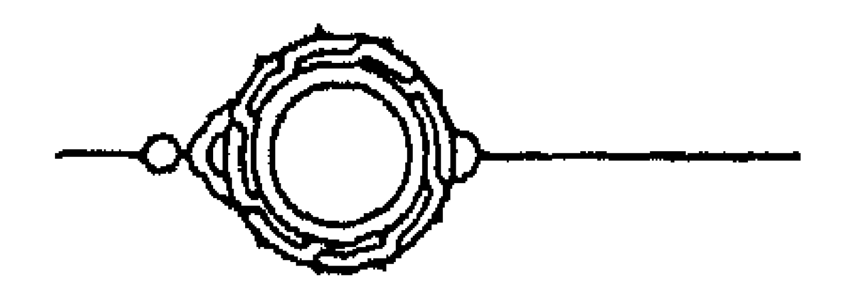
(151) الهيروغليف . اللغة الهيروغليفية .

(152) وردت هذه التسمية في حسن المحاضرة 1 : 31 ، وقد تكون هذه التسمية بسبب كثرة رسوم الطيور في حروف هذه اللغة .

(153) يستقي المؤلف هذه المعلومات من كتاب : السفر إلى المؤتمر ، ص : 273 .

(154) حسن المحاضرة 1 : 29 .

(155) ساحة كونكورد Place de la concorde . من أشهر ساحات فرنسا ، شيدت سنة 1753 :

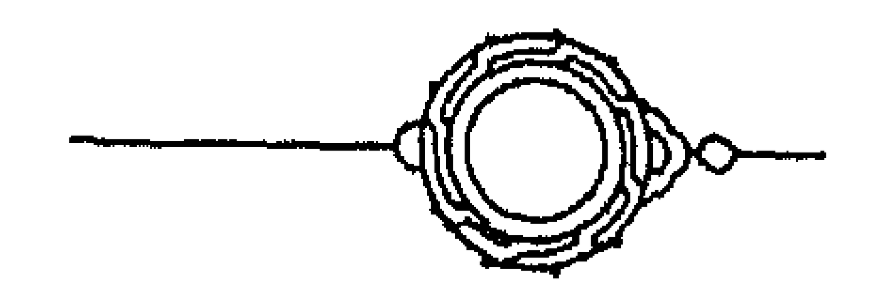


وهو القطار الذي يمتد تحت أرض باريز ويخترقها اختراقا في أنفاق واسعة ينزل إليها بالدرج أو بالآلة الرافعة ، وله محطات كثيرة جدا بارزة على سطح الأرض ، ويبعد ما بين المحطة والأخرى بنحو خمسمائة متر ، فإذا نزلت إليه من إحدى تلك المحطات ألفيت سراديب واسعة تموج بالناس موجا ، هذا ينتظر القطار ، وهذا قد نزل من قطاره ينتظر آخر يخص اجهة التي يقصدها ، وكثيرا ما تنزل من سرداب إلى آخر ومنه إلى آخر حتى تتغلغل في أحشاء الأرض ، وكل تلك الطبقات تستضاء بالأنوار الكهربائية ، وجدراتها مشحونة بالإعلانات المختلفة ، وقد ألفينا ببعض هذه السراديب خزائن صغيرة منصوبة للبيع كأنها دكاكين تلقى بها عشر سانتيمات إفرنسوية ثم تجذب إليك خرصا بها فتخرج قطعة شكلاط ، إن ألقيت السنتيمات في نقبه ، أو الحلواء/ إن ألقيتها في نقبها ، وكتبوا عليها كيفية التعامل ، وعلى كل نقب ما بداخله ، وهذا من عجيب ما ترى ، فقد برعوا في ترويج تجارتهم لدرجة أن استخدموا الجمادات لهذه الغاية .

ثم إن المترو يحتوي على عشرة خطوط يمتد جلها تحت الأرض ، وكان فتح أول خط منها سنة 1900 ، وهو أحسن وسائل الانتقال بباريز لأن أجرته زهيدة ولا يلزم دفعها إلا عند المحطة الأولى فحسب بشرط أن لا تظهر على ظهر الأرض ، ثم إنه سريع السير قليل التعاريج ، وما بينك وبين المحطة المقصودة إلا أن تنزل محطة ثم تخرج من أخرى فتجد نفسك حيث أردت ، نعم كثيرا ما تنتقل من قطار إلى قطار إلى أن تصل إلى المحطة المفضية إلى الجهة المقصودة ، وتجد في كل محطة لوحا معلقا مكتوبا عليه اسم الجهة التي ينتهي إليها ، وهناك يلزم أن تقف لانتظاره ، وإذا وصل فبادر بالركوب من غير توان ، فإن زمن وقوفه قليل لا يتجاوز عدة ثوان ، أما غيره من المركوبات فبالطبع لا يمر إلا على شوارع السير المخصوصة ، وتارة يتعرج يمينا وتارة شمالا ، وكثيرا ما يوقفه البوليس[156] المكلف بتنظيم السير لفصل ازدحام السيارات ، نعم من كان

(156) البوليس . Policc.الشرطة .

أربه التنزه في محاسن باريز فظهر الأرض أوفق له من بطنها .



بستان النبات

من أشهر بساتين باريز[157] ، جدد تأسيسه بأمر من الدولة سنة 1793 ، وبه ثلاثة أقسام :

ـ القسم الأول : مربى الحيوانات ، أسس في عهد حكومة لاكونفسيون ، وبه اثنان وعشرون من أقفاص الحيوانات المفترسة وغيرها ؛ كالأسود والدببة والنمور والسنانير المزركشة والأيال[158] ، وقصر لأنواع القردة ، ودائرة خاصة بالحيوانات العظيمة الجثة ؛ كالفيل والزرافة ، ودائرة أخرى كبيرة من الحديد للطيور المائية ، وأقفاص الطيور والجوارح ، وصهريج فيه الحيوان المسمى شيخ البحر فوك[159]/ .

ومما يستلفت الأنظار أن من جملة الحيوانات المعروضة هناك للتفرج عليها وشد الرحلة من الأنحاء القاصية إليها ، حمار أهلي ، وكان ذلك لندور الحمير بهذه البلدة ، وقد أقام اللكع[160] هناك على ما شاء من التبن النقيّ يوضع بين يديه ، والمياه الصافية العذبة تساق إليه ، فهو يتبختر في قصره من تلك الحديقة كيف شاء لا يعرف إلا الأكل والراحة ، فيا للحمارين ويا للمكارين .

ـ القسم الثاني : بستان النبات ، وبه جميع أنواع النباتات والأشجار المغلة ، ومحل لتلقيح النبات ، وآخر للتجربة ، وأول شجرة من الأرز اللبناني جلبت إلى أرض فرنسا ، وكان غرسها سنة 1735 . وبهذا القسم بيوت من الزجاج لتنبيت ما لا ينبت في البلاد الباردة ، بما تكن هذه البيوت في أجوافها من الحرارة المستمدة من الشمس .

---

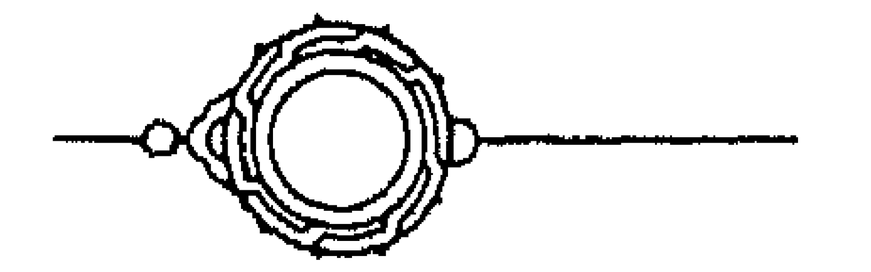
(157) وقف عند هذا البستان كثير من الرحالة العرب ، أنظر على سبيل المثال : السفر إلى المؤتمر ، ص : 283 ، رحلة الصفار إلى فرنسا ، ص : 149 .

(158) الأيال . جمع أيل . حيوان بري .

(159) فوك . Phoque . فقمة . عجل البحر : الكامل الوسيط ، ص : 713 .

(160) اللكع . من لا غناء له ، وهو من أسماء الجحش ، ولعل كلاهما مقصود هنا : لسان العرب . لكع .

ـ القسم الثالث : وهو من أعجبها عندي ، متحف التاريخ الطبيعي ، وبواجهة الغرفة المخصصة له صورة لمبارزة الإنسان للحيوانات ، وصور أخرى تمثل معيشة الحيوانات ، ومما شاهدت ببابه صورة مجسمة غاية في إتقان النقش تمثل فردا عظيما من نوع أُرانْغْ أوتانغ[161] وقد خنق شخصا هنديا ، وهي من نحت أنامل فْرِسي ، وبداخل الغرفة 36000 شكلا من الحيوانات وهياكل البشر والحيوانات العظيمة الجثة ، من أعجبها هيكل حيوان عظيم قد انقرض من الأرض يدعى الدِبْلُودُكِيس[162]، يبلغ طوله خمسة وعشرون مترا ، أهداه إلى المتحف كارنيجي ، أحد أغنياء الأمريكان ، وهيكل حوت هائل يبلغ طوله أربع عشر مترا[163] ، وقد أقاموا تلك الهياكل ونصبوها هناك على نظامها الطبيعي بدعمها بالأخشاب وشد أطرافها بأسلاك الحديد ، ومما شاهدناه به عدد كثير من الهول[164] ، منها أصحاب الجسم الواحد ، أي لها رأسان وصدران و حِقْو[165] واحد .



ـ فائدة فقهية لطيفة :

كيف يورث هذا المولود أميراث اثنين أو ميراث واحد؟ . نزلت في عهد علي بن أبي/ طالب فقضى فيها بأن يترك حتى ينام ، ثم يصاح به ، فإن انتبها جميعا كان له

---

(161) أرانغ أوتانغ . Orang - Outang . حيوان لبون من فصيلة أشباه الإنسان وفصيلة القرديات ، وهو أقرب القردة إلى الإنسان . الكامل الوسيط ، ص : 653 .

(162) الدبلودكيس : Diplodocus . دينوصور عاشب . نوع من الزّحّافات الهائلة ، عاشت في أمريكا قبل انقراضها . الكامل الوسيط ، ص : 253 .

(163) أشار إلى هذا الحوت أيضا أحمد زكي منبها إلى أنه «من النوع المعروف بالهائشة» ، أنظر : السفر إلى المؤتمر ، ص : 286 .

(164) الهول . جمع هولة ، وهي كل ما . . . الإنسان ، ، وهي من ابتكار الأستاذ إبراهيم (هامش للمؤلف) . ومن معاني الهولة ، مفرد الهول ، الكريه المنظر . لسان العرب . هول .

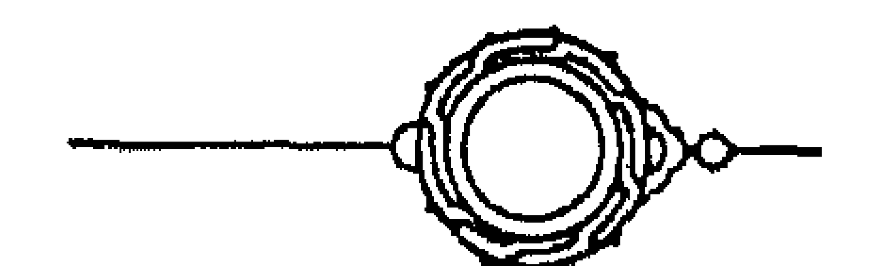
(165) الحقو . الخصر ومشد الإزار من الجنب . لسان العرب . حقو .

ميراث واحد ، وإن انتبه واحد وبقي واحد كان له ميراث اثنين .

ومنها الهولة ذات الرأس الهائل ، ومنها غلام يحمل جنينا مطمور الرأس في صدر حامله ، وكل ذلك بالجبص فيما أظن ، ووراءه هيكل الجسم الأصلي . ومولود مقلوب الأمعاء محفوظ في مادة خصوصية للتصبير . وصورة مولود أسود اللون ملطخ البشرة ببقع بيضاء . وصورة امرأة من الهوتنتوت ذات الإلية العظيمة كانت وردت إلى باريس في أوائل القرن التاسع عشر ، إلى غير ذلك من العجائب والغرائب التي لا يشفي إلا الوقوف عليها .

وفي الطبقة فوقها 179000 شكلا من عظام وهياكل ورم الحيوانات الغابرة ، أعجبها وأغربها الأجسام المصبّرة[166] ، الموميا العريقة في القدم ، وهي محفوظة بصنادق زجاجية ، وبعضها مضطجع ، وبعضها مستوفز ، وبعضها قائم ، ولا زال للبعض منها شعور منسدلة ، إلا أن جلودها قد اسودت وانزوت ، وفيها من مال أحد فكيه ، وفيها من تناثر أنفه فبشعت مناظرها ، إلا أن لها أهمية كبرى في إفادة ما كان لقدماء المصريين من البراعة في التصبير لدرجة لم يصل إليها علماء العصر الجديد .

فرساي[167]



مدينة بالجنوب الغربي من باريز ، خرجنا إليها في القطار على نحو نصف ساعة ، وبها المنتزه العجيب الذي تعجز ألسنة الأقلام عن وصفه ، فما شئت من قصور شاهقة ، وأشجار باسقة ، ورياض متسقة ، وحياض متدفقة تتدفق مياهها من أفواه التماثيل من بين ضفادع وأسماك وأسد وغيرها ، فكأن البحتري ينظر إليها حيث

(166) مصبّرة . محفوظة ، «من صبّر الجثة . صنع بها ما يحفظها على هيئتها ويقيها الفساد إلى وقت ما لأنهم كانوا يستعملون قديما الصبر لذلك» الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية ، هـ 22 . والصبر نبات مر كالسوسن الأخضر . لسان العرب . صبر .

(167) فرساي . Versailles تقع في ضواحي باريس ، بدأ لويس الثامن Louis 8 بتأسيس نواتها سنة 1624 – 1632 ، وأضاف لها ملك فرنسا المتعاقبون : D.E.H.3/7331

يقول في وصف البركة التي اصطنعها المتوكل في حديقته :

[بسيط]

تنصب فيها وفودُ الماء معجلة
كالخيل جَارية من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها/
إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها(168)

إلا أنهم لا يرسلون المياه إليها إلا في أوقات معلومة لما تستلزم من النفقات الكثيرة ، ويبلغ وسع هذا البستان عشرين فرسخا ، وبه من الصور المجسمة و الدهنية(169) والمنسوجة في الأقمشة والزرابي شيء كثير جدا ؛ منها صور جميع ملوك فرنسا و وزراء لويز الرابع عشر ، وجميع وقائع الملوك وأعمالهم وكل ما يتعلق بتاريخهم(170) .

هذا المنتزه من تأسيس لويز المذكور ، ومبلغ ما أنفق في عمارته مليار من الإفرنك ، وهو مبلغ جسيم ، وكان عدد العملة المشتغلين فيه ستة وثلاثين ألفا ، ومن الخيل ستة آلاف . وفي سنة 1679 نقل إليها كرسي مملكته ، فأصبحت المدينة محور السياسة والنظام إلى أن توفي سنة 1715 في السابعة والسبعين من عمره والثانية والسبعين من ملكه .

---

(168) ديوان البحتري ، ص : 17 .

(169) يقصد اللوحات الزيتية .

(170) قال أحمد زكي : «ومن أراد أن يقف على تاريخ فرنسا في سويعات قليلة فما عليه إلا أن ينظر الرسوم التي ازدانت بها غرفه (قصر فرساي) ، فإنه يرى فيها جميع وقائعها وأعمالها وكل ما يتعلق بتاريخها» . السفر إلى المؤتمر ، ص : 367 . وقد استدرك الصفار على ذلك قائلا . «ولكن لا يصورون إلا الحروب التي كانت لهم فيها الغلبة» . رحلة الصفار ، ص : 212 .

وقد رأيت هناك مگانة[171] حائطية قد وقف سيرها لدى الدقيقة التي فاضت فيها نفسه ، وبقيت كذلك إلى الآن ، وفي هذا من عنايتهم بتدقيق التاريخ واهتبالهم بأعاظم رجالهم ما لا يخفى عليك .

ولا زال لفرساي الامتياز بجعلها ناديا لانتخاب رئيس الجمهورية لغاية الآن ، وأجمل شيء بها وأبهاه ، وهو أجمل ما أسسه لويز ، قصر الزجاج ، وهو قصر عظيم مغشى الحيطان بمرايا كثيرة تتصل ببعضها بواسطة قطع نحاسية مموهة بالذهب ، ولذلك يدعى قصر الزجاج ، وكأنه تمثل للبحتري في قصر المعتز بالله حيث قال في وصفه :

[كامل]

رفعت لمخترق الرياح سموكه
وزهت عجائبُ حسنه المتخايلِ
وكأن حيطانَ الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحلِ[172]

طوله اثنان وسبعون مترا ، وعرضه عشرة أمتار ونصف ، وعلوه تسعة عشر ، وله سبعة عشر نافذة يشرف منها على البستان ، وقد رسموا في سقفه بالأصباغ صور الحروب والانتصارات بين فرنسا وبين ألمانيا وهولاندا/ وإسبانيا . وكان ملك بروسيا[173] في حرب السبعين أعطى نفسه لقب إمبراطور على ألمانيا بهذا القصر ،

---

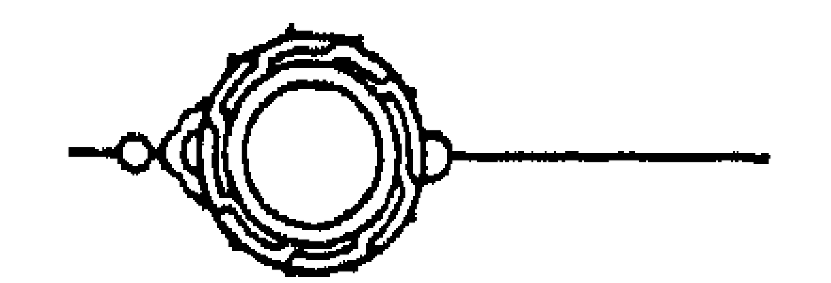
(171) م~انة : هي الساعة في العامية المغربية ، يقول الأستاذ محمد الفاسي إن أصل الكلمة يوناني Magganon : الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية : هـ 6 . وقد ذكر المؤلف في رحلته إلى الديار المقدس بعض المنجانات التاريخية الموجودة بالمغرب ، مردفا حديثه بفائدة في حكم اتخاذ جرس المكانة الذي يدق للإعلام بالأوقات ، أنظر . لمحة بصر على الديار المقدسة ، ص : 107 .

(172) ديوان البحتري ، ص : 82 .

(173) ملك بروسيا في حرب السبعين هو كيوم الأول Guillaume I (7971-8881) ، كان ملكا للنمسا من 1861 إلى غاية 1888 ، وإمبراطورا لألمانيا من 1871 إلى 1888 : Encyclopédia Universali .

ومن ذلك خصص بعقد الصلح فيه بعد هذه الحرب الكبرى التي انتصر فيها الحلفاء ، وقد شاهدت به الطاولة التي أُمضيَ عليها عقد الصلح معروضة به مكتوبا عليها ذلك ، محافظة على تلك المأثرة العظمى ، وتخليدا لذكرها .

ومما تجولت فيه هناك مسكن لويز السادس عشر[174] ، ورأيت أثاثه وسريره وغير ذلك ، و في أثناء تجولي مررت بكنيسة فأغراني حب الوقوف على الآثار بالدخول إليها والتجول فيها ، لولا أنه كدر صفوي بها شخص من جملة الواردين مصفر اللون ، قد تقبض جلده وتقنسر[175] ، كأنه جسم مصبر ، قال لي : لا بد أن تنزع العمامة عن رأسك إعظاما وإجلالا كما ترى الناس ينزعون قبعاتهم ، فأبيت ذلك ، فكرر وأكثر من الطنطنة بتلك الرطانة ، فقلت له : ليست العمامة كالقبعة التي يمكن نزعها بكل سهولة وبدون أدنى آفة تلحقها ، وكيف الحال إذا اختل نظامها واختلطت أطرافها ، وانسلت قلنسوتها ، ومن لنا في هذه الديار بحجّام حاذق ينسقها ويرصصها بقلبه وقالبه ، وأين هو ومن لنا به؟! . وأنا قد تنكبت الدخول هنا إلى الحلاق مع حاجتي إلى الحلاق خشية أن تطغى حديدته على الأذقان ، فنصبح كالمردان ، ونصير محل الإعجاب ، عند الرجوع والإياب . ثم قلت لرفيقي ، ما لنا والدخول إلى هذه الكنائس التي لا تحترم فيها العمائم والقلانس ، ويجحد فيها تعب الحجام ، فإلى الأمام ، فإلى الأمام[176] .

ملاحظة: 

يعتبر الإفرنج رفع القبعة عن الرأس من مظاهر التعظيم بخلاف أعرافنا ، فإن نزع

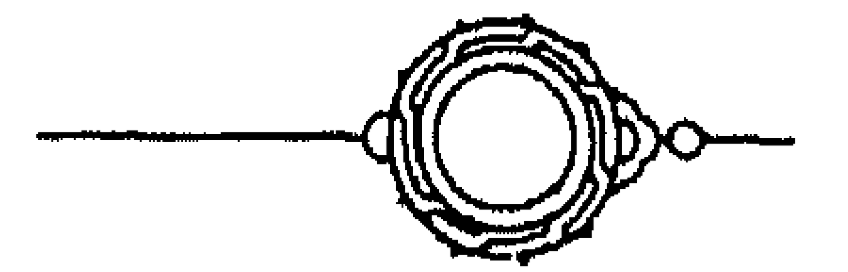
---

(174) لويز السادس عشر . Louis XVI (9271-5671) ، الملك المعروف الذي قتل مع زوجته عند اندلاع الثورة الفرنسية .D.E.H.2/.957

(175) تقنسر . من القنسر . وهو الشيخ الكبير المسن الذي أتى عليه الدهر . لسان العرب . قنسر .

(176) حالت العمائم دون دخول كثير من الرحالة العرب إلى رحاب الكنائس في أوربا ، أنظر على سبيل المثال : السفر إلى المؤتمر ، ص : 44 .

العمامة بمحضر الملإ ربما عد من خوارم المروءة ، ونزعها عن رأس الغير ضرب من الإهانة ، وبنى الفقهاء على هذا العرف الذي يعد تحكيمه في جملة أصول الفقه ، أن نزع العمامة من أنواع التأديب وضروب التعزير . يقول أبو الضياء/ خليل في مختصره الجليل : «وعَزْر الإمام لمعصية الله ، أو لحق آدمي ، حبسا ولوما ، وبالإقامة ونزع العمامة ، وضربا بسوط أو غيره»(177) .



استطراد. كلمة تاريخية

كان المولى إسماعيل ، فخر الدولة العلوية ، معاصرا للويز الرابع عشر ، وكان بينهما تواصل ووداد وتعارف ، ونقل في الاستقصا عن المؤرخ منويل(178) أن لويز المذكور كان قد أعان المولى إسماعيل على فتح العرائش وانتزاعها من يد الإسبان(179) بخمس فراقط(180) حاصرها بها بحرا(181) ، وكان كل منهما مولعا بعمارة(182) الرياض والبساتين والحياض ، مشغوفا بتشييد القصور الفخيمة والمصانع العظيمة .

وبحفظي أن المولى إسماعيل كان أسس مدينة الرياض(183) لمحاكاة قصور فرساي ،

---

(177) المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، ص : 215 .

(178) ذكر الناصري في الاستقصا أنه قد وقف لبعض الإصبانيين اسمه منويل باولو على كتاب موضوع في أخبار المغرب الأقصى ، فنقل عنه بعض الأخبار التي لم ترد إلا عنده . أنظر . الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، 81 : 2 .

(179) تم فتح العرائش واستخلاصها من يد الإسبان يوم الأربعاء الثامن عشر من المحرم سنة إحدى ومائة وألف 1101هـ . أنظر : الاسقصا 81 : 2 .

(180) فراقط . جمع فرقاطة . Frégate . سفينة حربية خفيفة وسريعة .

(181) الاستقصا 73 : 2 .

(182) الكلمة مكررة في الأصل .

(183) مدينة الرياض : من أعمال مدينة مكناس ، كان بها آثار أكابر دولة المولى إسماعيل ، وبها دور العمال والقواد والكتاب وسائر الحضرة الإسماعيلية ، أنظر : الاستقصا 133 : 3 .

وأما الصهريج الذي بمكناس، والبركة التي ببستان فرساي، فلا يبعد فيهما أن يكون أحدهما تحدى صاحبه فيه، أو هو من باب توافق الخواطر ووقوع الحافر على الحافر.
وإذا تجولت في آثار السلطانين رأيت ما يدهشك و يبهتك، وإن كان ما غاب عنك من آثار المولى إسماعيل أكثر بكثير، فإن منها مدينة الرياض «زينة مكناسة وبهجتها»[184]، التي سخرت عليها جيوش الفؤوس عشرة أيام[185] حُسُوما[186]، ومنها ومنها. و ما أفلت من ضغضغة المعاول والفؤوس، لا عهد له بالتعاهد، بخلاف آثار لويز بفرساي وباريز فإنها كلها متعاهدة محفوظة، حتى أن مبلغ ما يلزم لنفقة فرساي وحدها... [187] سنويا، وكل منهما قد طال جلوسه على سرير الملك لغاية نادرة، فإن مدة ملك المولى إسماعيل سبع وخمسون سنة[188]، ومدة ملك لويز اثنان وسبعون، ولا يحفظ مثل هذه المدة إلا الملوك قلائل كالمستنصر العُبيدي[189]،

---

(184) العبارة للناصري، أنظر: الاستقصا 133 : 3.

(185) تعرضت مدينة الرياض للهدم سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف (1143هـ) «ولم تمض عشرة أيام حتى صارت مدينة الرياض كدية من التراب، ولم يبق منها إلا الأسوار». أنظر: الاستقصا 133 : 134-3.

(186) إشارة إلى قوله تعالى: ؟سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية؟، الحاقة 7.

(187) فراغ في الأصل.

(188) ولد المولى إسماعيل سنة ست وخمسين وألف (1056)، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المولى رشيد سنة اثنتين وثمانين وألف، وتوفي سنة تسع وثلاثي ومائة وألف، قال الناصري: «كان خليفة ونائبا عن أخيه المولى الرشيد سبع سنين، وسلطانا وملكا مستقلا سبعا وخمسين سنة، حتى كان جهلة الأعراب يعتقدون أنه لا يموت». أنظر: الاستقصا، الجزء الثالث، ص: 45 وما بعدها.

(189) المستنصر العبيدي. أبو تميم معد المستنصر بالله، هو الخامس من خلفاء مصر من بني عبيد، ولي الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله سنة سبع وعشرين وأربعمائة، بقي في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر، توفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة. أنظر: النجوم الزاهرة، الجزء الخامس، ص: 1 وما بعدها، وفيات الأعيان 229 : 5.

فـإنه أقـام فـي الخـلافـة سـتين سـنة ، وكـفـيكتـوريا ملكة الإنـگليـز[190] فـإنـهـا أقامـت . . .[191] والجوزيف إمبراطور النمسا[192] فإنه أقام . . .[193]

ووراء هذا كله فـ ﴿إن الأرض لله يورثهـا من يشـاء من عـبـاده والعـاقـبـة للمتقـين﴾ .[194]

وفي يوم الثلاثاء أممنا ساحة المعهد لاستخراج سمت القبلة به وتخطيط خط المحراب حتى لا يثور ساعة الاحتفال بين الحضور نزاع ، ويكون مقدار السمت وجهته كلمة إجماع ، وحضر معنا جماعة من المهندسين الإفرنسويين ، وكنا استخرجنا السمت قبل ذلك ، فكان تسعا وعشرين درجة تقريبا على ماية من عين المشرق إلى الجنوب ، ووجدنا المهندسين المذكورين قد استخرجوه أيضا ، فتوافقت الأعمال ، إلا أنه لم يمكنا خط المشرق والمغرب لاحتجاب الغزالة[195] غالب الأوقات وراء خدر السحاب ، أو سجف الضباب ، فكان اعتمادنا في معرفة الجهات على الإبرة المغناطيسية[196] ، ومقدار انحرافها هناك عشرة أدراج نحو الشرق ، وذكر لنا أولئك المهندسون أن سبب الانحراف موضعي ؛ وهو كثرة ما بالبلد من الأسلاك الحديدية الجاذبة لها ، وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله .

---

(190) فيكتوريا ملكة الإنجليز . تربعت على العرش من سنة 1837 إلى 1901 : D.E.H.3/.1431

(191) فراغ في الأصل .

(192) قاد فرنسوا جوزيف الأول (1830-1916) FranÇois Joseph امبرطورية النمسا من سنة 1848 إلى سنة 1916 : Encyclopedia Universalis

(193) فراغ في الأصل .

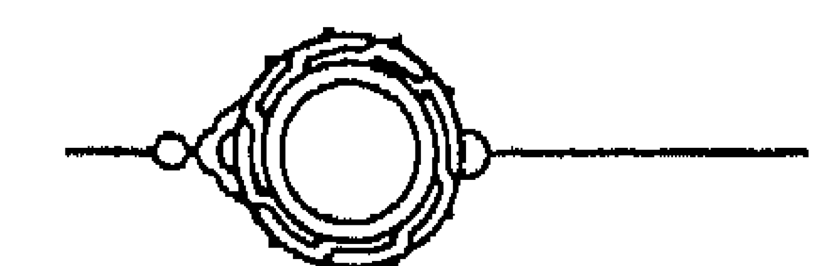
(194) الأعراف : 128 .

(195) الغزالة : من أسماء الشمس . لسان العرب . غزل .

(196) الإبرة المغناطيسية . البوصلة .

وفي يوم الاحتفال(197) ، وهو يوم الأربعاء فاتح مارس ، توجهنا على الساعة الثالثة إلى المعهد ، وما بعُد عهدنا به ، فإذا رايات دول الإسلام تخفق على بابه ، وتومئ برأسها للسلام ، وترحب بمن أمّ جنابها من الأنام ، وقد علاها من المهابة والوقار ، والأبهة والفخار ما هي جديرة به وله أهْل ، وإذا الناس يتقاطرون إلى المعهد من كل جانب ما بينمسلمين وإفرنج فيهم عدد كثير من الرؤساء وذوي المناصب ، فلما اطمأن المحفل بأهله ، وتمّ اجتماع القوم إليه ، ألقى السيد عبد القادر بن غبريط خطبة رنانة أتى فيها على أطوار مسألة المعهد ، ثم تلاه جماعة من الرؤساء الإفرنسويين ، وكان الاحتفال في غاية الرونق والمهابة حضره جم غفير من المسلمين من مغاربة و جزائريين وتونسيين ومصريين وفارسيين وأفغانيين غيرهم ، وبعد الفراغ من إلقاء الخطبة تقدمنا إلى جهة المحراب فألفيناهم قد أحضروا لنا البوصلة ووضعوها/ على مائدة خشبية ليس فيها شيء معدني ، خصصوها لهذا الغرض لئلا تؤثر مسامير الحديد على الإبرة ، وترأس العملية جناب الحاجب السلطاني الفقيه العلامة السيد التهامي عبابو(198) ، فتقدم وخطط خط القبلة .

كلمة على المعهد الإسلامي



هذا المعهد يشغل مسطحه ستة آلاف وخمسمائة متر تقريبا ، وتبلغ قيمة بقعته

(197) ورد بجريدة السعادة خبر هذا الاحتفال في تقرير جاء فيه . « وفي عشية الأمس وقع الاتفاق بين أعضاء الوفود الإسلامية الممثلة للمغرب والجزائر وتونس على الوقوف على عين المعهد الإسلامي بهذه العاصمة لتخطيط نقطة محراب مسجده ، وفي صبيحة اليوم عند الساعة العاشرة خرج الكل من محل نزولهم بزنقة لافاييت وركبوا السيارات الخصوصية المعدة لهم ، وتوجهوا إلى محل المعهد الإسلامي وبمعيتهم سيادة الحاجب الفقيه العلامة السيد التهامي عبابو والفقيه السيد قدور ابن غبريط رئيس التشريفات ، وقد وجدوا في انتظارهم بعض المهندسين والمكلفين بشؤون المعهد . . .» أنظر : جريدة السعادة 1922/03/03 .

(198) التهامي اعبابو . كان من أشد المقربين إلى السلطان يوسف ونكب بعد وفاة هذا الأخير ، توفي اعبابو سنة 1942م . معلمة المغرب 511/2 .

مليونا من الإفرنك ، وقد أعد لتشييد مسجد وكتبخانة(199) وعدة مرافق للمسلم المقيم في باريز ؛ من حمام وخان ومطعم على أسلوب عربي ، وبالفعل قد وقع الشروع في بنائه ، ومن أهم فوائد هذا المعهد تذكار مشاركة المسلمين الإفريقيين للدولة الإفرنسوية في الحرب العظمى(200) ، ومنها تسهيل المقام بباريز لمن أراد أن يتعاطى العلوم والصنايع في مدارسه الراقية ، ومن غريب الاتفاق أن تشييد هذا المسجد بهذه المدينة وفي هذا العصر كأنه تنجيز لما كان انعقد بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولويز الخامس عشر في الثامن والعشرين من مايه 1767 (201) ، وقد عثر على ذلك الاتفاق بنصه وفصه في وزارة الخارجية الإفرنسوية ، ودونك ترجمة مضمون الفصل الذي يخص هذا المقام : «إن من حق القناصل الإفرنسويين أن يكون لهم بديارهم محل خاص لإقامة دينهم ، ولا يمنعون من ذلك بمانع ، وإن كل من أراد من المسيحيين التوجه لدار القنصل للصلاة أو للقراءة فلا يتعرض له ، كما أن رعايا سيدنا المنصور الساكنين بالأراضي الإفرنسوية لا يمنعون من بناء مسجد للصلاة أو لتلاوة القرآن في أي محل كانوا»(202) .

---

(199) كتبخانة . مكتبة ، وأصل الكلمة تركي .

(200) أشار الحجوي في رحلته إلى أنه وقف على « مقبرة جرحى الحرب من عساكر الإسلام والمسجد الذي بني قربها للصلاة عليهم» ، أنظر . رحلة الحجوي ، ص : 65 .

(201) وقعت المصالحة بين سلطان المغرب ، سيدي محمد بن عبد الله ولويس الخامس عشر بعد وقعة العرائش سنة 1179هـ ، وقد ورد على المغرب لإبرام الصلح الكونط دوبرونيون Conte de Brugnon ، وتم إبرام اتفاقية سلام بين المغرب وفرنسا بتاريخ 29 ذي الحجة عام 1180هـ ، الموافق لـ 28 مايو1767 م . أنظر : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 90 : 9 .

(202) أنظر نص الاتفاقية في كتاب . إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس 266 : 3 .

وعلى الساعة التاسعة من ليلة السبت بارحنا باريز[203] على كاهل باخرة البر[204] ، وفي الساعة العاشرة من صباح الغد وصلنا إلى مدينة مرسيليا مرسى التجارة العظيمة وذات الدرجة الأولى في الاعتبار التجاري بهذه المملكة[205] ، مدينة المعامل/ والتعامل والروجان والحركة .

ومن ثم ترى الناس يتهافتون عليها من كل الشعوب والأجناس ، فما أحراها بقول ابن الخطيب في مدينة فاس : «اجتمع بها ما ولده[206] سام وحام ، وعظم الالتئام والالتحام ، فلا يعدم في مساكنها زحام»[207] .

وأبنية هذه المدينة شاهقة ، وشوارعها متسعة ، يتخللها الترمواي الكهربائي ، وحوض مرساها العظيم مفعم بالبواخر التجارية ترفف عليها أعلام كثير من الدول ، وعند الزوال من يوم الأحد خامس الشهر ، ركبنا باخرة عبدة[208] من بواخر شركة باكي[209] إلى الدار البيضاء ، وكان الجو صافي الديباجة ، طيب الهواء ، وأنزلت على

---

(203) أوردت جريدة السعادة تحت عنوان : صدى باريز ، خبر رجوع الوفد المغربي ، ومما جاء فيه : « . . . وقد عزم الوفد المغربي على مغادرة باريز مساء اليوم قاصدا مرسيلية مصحوبا بسيادة الحاجب السلطاني ، فنتمنى للجميع السلامة في الظعن والإقامة ، ونودع هذه الديار الباريزية متشكرين من إحسان رجالها وبشاشة أبناها تاركين بينهم مسجدا ومعهدنا الإسلامي تذكارا لا ينسى أبدا ، ونغتنم هذه الفرصة فنتقدم بلسان الوفد المغرب ثناءنا العاطر على جميع أفراد باقي الوفد الإسلامية ، وخصوصا جوارنا الجزائريين والتونسيين لما أظهروه في وجه الوفد المغربي وسيادة الحاجب السلطاني من التعظيم والوقار والبشاشة . . . أحمد الهواري . أنظر : جريدة السعادة 1922/03/10 .

(204) باخرة البر . القطار ، ويسمى أيضا لدى الرحالة العرب وابور البر .

(205) واضح أن فرنسا لم تكن مملكة أوان الرحلة .

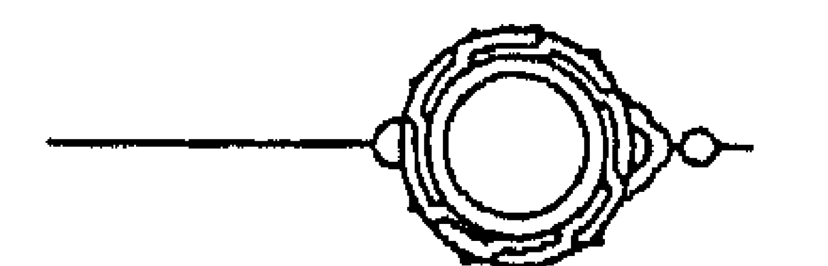
(206) في معيار الاختيار : أولده .

(207) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، ص : 175 .

(208) تحمل هذه الباخرة اسم عبدة ، وهو اسم للمنطقة المغربية الواقعة وسط البلاد : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، معلمة المدن والقبائل : 309 .

(209) شركة باكي الملاحية . Paquet كانت تنشر إعلاناتها التجارية بجريدة السعادة ، أنظر : جريدة السعادة ، عدد : 1938/09/01 .

البحر السكينة فسالم السفينة ، فتداركنا ما فات من التنزه في محاسن البحر المستلذات ، وفي يوم الخميس صباحا حللنا بالدار البيضاء ، فمنها توا إلى الوطن ، فأبنا بحمد الله وقد قضينا الوطر وطوينا صحيفة السفر .



استخراج سمت القبلة بباريز

اعلم أن لاستخراج القِبلة طرقا كثيرة أقربها ما ذكره جمال الدين الماريديني في كتابه : (الدر المنثور بالعمل في الربع الدستور) في شرح رسالة الماريديني[210] ، وأبو زيد سيدي عبد الرحمن البعقيلي في شرحه لروضة الأزهار[211] ، وغيرهم ؛ وهو أن تفرض فضل الطولين فضل دائر ، وتستخرج ارتفاعه ، ثم سمت[212] ذلك الارتفاع ، كل ذلك بالميل المساوي لعرض مكة ، فيحصل بذلك سمت القبلة[213] . وقد زاده المحقق سيدي عبد السلام العلمي تحريرا فقال بعد كلام : «ولما كان غرضنا ذكر طريق مطرد عام في جميع الآفاق ، أعني التي فوق أفق قبة ارين لما استكشف من الأمريكا والساحل الشرقي من آسيا ، ومدن جزيرة أستراليا المعروفة عند المعربين بهولاندا

---

(210) كتب في الأصل . الدر المنثور في العمل بيع الدستور والتاجوري ، والمقصود كتاب : الدر المنثور بالعمل في الربع الدستور ، لأبي عبد الله بن خليل بن يوسف الشهير بالماريديني ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات ، الرباط ، رقم . ق743(ضمن مجموع) .

(211) عنوان هذا الشرح هو : قطف الأنوار على روضة الأزهار ، لصاحبه : عبد الرحمن بن عمار بن أحمد الجزولي البوعقيلي ، المعروف بابن المفتي ، وهو شرح لكتاب : روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار لأبي زيد عبد الرحمن بن أبي غالب الشهير بالجادري .

(212) السمت . «السمت في اللغة الناحية ، و هو في الاصطلاح مأخوذ من ذلك ، وهو ناحية الارتفاع في أحد أرباع الأفق التي هي الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي ، والشمالي الشرقي والشمالي الغرب» : قطف الأنوار على روضة الأزهار ، ص : 7 .

(213) الدر المنثور بالعمل في الربع الدستور ، ص : 324 ، قطف الأنوار على روضة الأزهار ، ص : 140 .

الجديدة ، لأن فضل الطولين في هذه أكثر من ربع الدور[214] ، وجلها جنوبية عن المعدل ، وكذلك غالب المواضع لبحر[215] القوقيانوس غربا وشرقا ، حسبما علمته مما حررناه في المقالة الحادية عشر في علم الجغرافيا من المقدمة ، ورأينا ما عند/ المؤلفين في استخراج السمت في جميع المساكن[216] من التطويل على المتعلم استعملنا الفكر في إيجاد طريق سهل يكون بطريق المطالب الميقاتية ليسهل على متعاطيه ، وقد كان نحا نحوه أبو زيد سيدي عبد الرحمن الباعقيلي[217] في شرحه لروضة الأزهار غير أنه خاص[218] بالنوع الذي يكون فيه سمت رؤوس أهل مكة فوق أفق الموضع المطلوب فيه السمت ، وقد استخرجناه من بعض قوانينهم ، وقطعنا عنه ما يعرض له من الخطإ بمراعاتنا أحوال الحركات الفلكية واختلاف البقاع الأرضية ، فجاء بحمد الله من الأعمال المحررة المطردة ، وهو . اجعل عرض مكة ميلا شماليا واعرف منه نصف قوس النهار في بلدك ، وسعة المشرق والمغرب[219] ، واحفظهما ، ثم اعرف فضل الطولين ، ولا يخلو إذ ذاك من ثلاثة أحوال ؛ إما أن يكون منعدما ، أو يكون مثل نصف الدور ، أو أقل من نصف الدور أو أكثر ، فإن كان الأولان فسمت القبلة تسعون درجة ، وإن كان بخلافهما[220] فلا يخلو إذ ذاك من ثلاثة أحوال أيضا ؛ إما أن يساوي نصف القوس ، أو يكون أقل منه أو أكثر ، فإن كان مثل نصف القوس فالنقطة التي

---

(214) عرف الماردين الربع قائلا : « شكل بسيط مستو محيط به قوس وخطان مستقيمان يلتقيان على زاوية ، ونقطة الالتقاء هي مركز المحيط» : الدر المنثور بالعمل في ربع الدستور ، ص : 305 .

(215) في الأصل : فبحر .

(216) في الأصل : المساكين .

(217) في الأصل : البعقيلي .

(218) في الأصل : خصه .

(219) حدد البوعقيلي طريقة معرفة سعة المشرق والمغرب في «أن تضرب ميل الجزء أو الكوكب في نصف القطر ، و تقسم على جيب تمام العرض ، فيخرج جيب سعة المشرق» : قطف الأنوار على روضة الأزهار ، ص : 75 .

(220) في الأصل : خلافهما .

تسامت رؤوس أهل مكة هي في حاشية الأفق ، وسمت القبلة مثل سعة المشرق والمغرب المحفوظة ، وإن كان فضل الطولين أقل من نصف القوس فاجعل فضل الطولين كأنه فضل دائر ، ثم استخرج الارتفاع من قبله بأحد الوجوه المتقدمة ، والأقرب أن تسقط سهم فضل الدائر من سهم نصف القوس وتضرب الباقي في جيب الغاية ، وتقسم على سهم نصف القوس فيخرج جيب ارتفاع سمت[221] رؤوس أهل مكة ، اعرف منه حصة السمت وتعديله ، ومنهما السمت ، فما كان فهو سمت القبلة ، وإن كان فضل الطولين أكثر من نصف القوس فالنقطة التي تسامت رؤوس أهل مكة تحت أفق بلدك ، فأسقط نصف القوس من فضل الطولين واحفظ الباقي ، ثم أسقط نصف قوس النهار أيضا من نصف الدور يبق نصف قوس النهار النظير ، وهي[222] النقطة التي/ تسامت قدم أهل مكة ، وهي جنوبية مرتفعة حينئذ فوق أفق بلدك ، ثم اسقط المحفوظ من نصف قوس نهار النظير ، وما بقي فهو فضل الدائر اعرف ارتفاعه ، فما كان فهو ارتفاع سمت قدم أهل مكة ، وهو يعادل سمت القبلة في الكمية ويخالفه في الجهة ، والل تعالى أعلم ، وهو الملهم»[223] ، انتهى كلامه .

ثم العمل في ذلك متوقف على مطالب لا بد من تقديمها ، وفي ضمن ذلك أثبت منظومة لي في التوقيت هي (غاية في الاختصار والتقريب) ، وأبين كيفية العمل بالأوغاريتم في ذلك كله ، واعلم أن ما في طي هاتين الورقتين أو الثلاث ، كفيل بمعرفة مواقيت الصلاة وسمت القبلة إلى ما في العمل باللوغاريتم من التقريب الذي لا يقدر قدره إلا من أنقضَ ظهره[224] عمل الحساب على الطريقة القديمة ، جزى الله عنا خير جزاء هؤلاء الأئمة الذين وضعوا الفن منا على طرف التمام ، وهو الموفق سبحانه ، وإليك نص المنظومة :

---

(221) في الأصل : سمت القبلة .

(222) في الأصل : من .

(223) أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، عبد السلام العلمي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم . د 8412 (ضمن مجموع) ، ص : 139 .

(224) إشارة إلى الآية الثالثة من سورة الشرح .

الميل والغاية[225]

[رجز]

اضرب بكد جيب بعد الدرجه
واقسم على صاد وقوس خارجه
فذاك ميل الشمس وانسبه إلى
جهة برجه الذي به انجلا
حطه في الجنوب زده في الشمال
على تمام العرض غاية الزوال

العرض

هو تمام غاية عند انعدام
ميل وزد أو حطه من التمام

بعد القطر

الجيب من ميل ومن عرض اضربا
واقسم بصاد يبد بعد فاطلبا

الأصل المطلق

زد في الجنوب جيب غاية على
بعد وخذ فضلا بذا الأصل انجلا

نصف الفضلة

البعد سطحن بصاد واقسما
لمطلق وقوسه النصف واعلما

(225) يستعمل الناظم في هذه المنظومة الحروف بحساب الجمل .

الأصل المعدل

جـيـب ارتفـاع خــذ إذا الميل فـقــد
والبــعــد حط أو فـزد إذا وجــد

الدائر وفضله

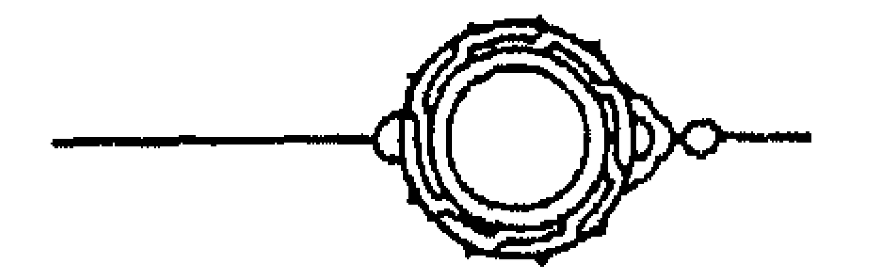
اقـــســم مــعـد لا بـرفع أبــدا
على الحـقــيـقي جـيـب دائر بـدا
خــذ قـوســه وزده نصف الفـضلـه
أو اطـرحـن منه عـلى القــاعــده
واطرحــه من تسـعين يبـد الفــضل
وعـلـمك الســاعـة منه عـدل

وقت العصر

فـنصف غــايـة ونصـف سـد س
تمامـهـا ارتفــاع عــصــر أسس
خــذ فــضل دائرة طبق مــا ذكــر
فـالوقت للعـصـر بتـقـريب سُـبـر

مقدار حصتي الشفق والفجر

خــذ دائر ارتفـــاع يز لنشــفق
للفـجــر يط ثم مـا قــد انتـسق



مطالب القبلة المحتاج إليها في العمل السابق الذكر

معرفة الارتفاع من فضل الدائر:

اضرب تمام فضل الدائر في الأصل المطلق ، واقسم على ستين يحصل الأصل

المعدل . اجمعه إلى بعد القطر إن كان الميل موافقا وفضل الدائر أقل من تسعين . وإلا فخذ الفضل بينه وبين بعد القطر يحصل جيب الارتفاع .

سعة المشارق والمغارب:

اضرب جيب الميل في ستين ، واقسم الخارج على جيب تمام العرض فيحصل جيب السعة .

حصة السمت وتعديله:

اضرب جيب الارتفاع في جيب العرض واقسم الخارج على جيب تمام العرض تحصل الحصة أجمعها مع جيب السعة في الجنوبي وخذ الفضل بينهما في الشمال فما حصل ، أو بقي ، فهو تعديل السمت .

سمت الارتفاع وجهته، وتعيين الربع الذي هو منه: /

اضرب تعديل السمت في ستين ، واقسم على جيب تمام الارتفاع ، يخرج جيب السمت قوسه ، يحصل المطلوب ، وأما جهته وتعيين الربع الذي هو منه ، فمعرفة ذلك من الخرائط الجغرافية بأدنى التفاتة ، وإن لم يكن لك إلمام بالفن ، فارجع إلى كتب التوقيت .

مقدمة في قواعد العمل باللوغاريتم:

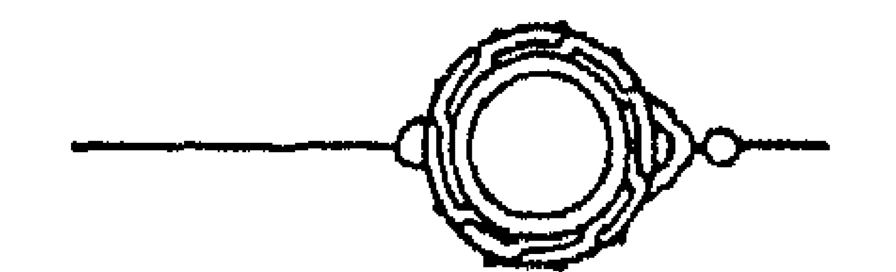
قاعدة الضرب فيه بالجمع بأن تأخذ نسبة المضروب وتجمعها مع نسبة المضروب فيه ، فما كان حاصل الجمع فهو نسبة حاصل الضرب ، وإذا اجتمع فيما قبل البياني عشرة أو أكثر ، فإنك تضع الصفر أو الزائد فيما تقتضيه المرتبة ، وتدخل بصورة الواحد وتجمعه مع بياني النسبتين ، فما كان فهو المطلوب إن كان ذلك في العددي ، فإن كان في التوقيتي فإن ما اجتمع من البياني مع مثله إذا كان عشرة فأكثر ، فالغ العشرات واثبت الزائد عليها ، يكن المطلوب .

وقاعدة القسمة بطرح المقسوم عليه من المقسوم ، والباقي هو نسبة خارج القسمة ،

وإذا كان بياني المقسوم الذي هو المطروح منه أقل من بياني المقسوم عليه الذي هو المطروح ، فزد على بياني المطروح منه عشرة ، واطرح من المجتمع ، ولا يحتاج للقسم على ستين في العمل باللوغاريتم التوقيتي أبدا .

وإذا أردت جيب القوس فادخل بمقدار القوس في التوقيتي ، وخذ نسبته ، ثم أنظر ما يماثلها أو يقاربها في العددي من غير اعتبار المنـزلة الأخيرة فيها ، فإذا وجدته فاضربه في ستة وخذ من الخارج المنـزلتين الأخيرتين للدرج إن خرج منـزلتان فأكثر ، ثم اضرب الباقي في ستة ، وخذ منه منـزلتين أيضا للدقائق ، وهكذا حتى لا يبقى شيء ، فما خرج في الجميع فهو جيب تلك القوس درجا ودقائق وثواني . هذا في المبسوط ، و إذا أردت المنكوس فافعل ذلك بتمام القوس .

وإذا أردت قوس الجيب فإنك تترك الدرج بحالها وتعمد إلى الدقائق فتردها إلى/ العددي المثين كما لو كان الجيب 30 36 ./ فإنك ترده هكذا : 50 36 ، وتقسم الكل على ستة ، ثم تأخذ للخارج أسه من اللوغاريتم العددي ، ثم تنظر مثله ، أو مقاربه في التوقيتي ، فإذا وجدته فخذ قوسه فهو المطلوب ، ويلزم القسم على ستة ، وإن لم يكن كسر كثلاثين مثلا ، وإذا فضلت فضلة فقدم عليها صفرا ، أو اقسم على ستة أيضا ، وخذ واجب المجموع مطلقا ، وكذا تقسم على ستة ، ولو كان الجيب أقل منها كأربعة ، لكن لابد من تقديم صفر من أول مرة .



تنبيهان :

الأول : إنما قدمنا لك هنا قاعدة معرفة القوس من الجيب وعكسه ، لأن العمل في اللوغاريتم التوقيتي لا يكون إلا بالقسي ، كما أن الخارج فيه لا يكون إلا قوسا ، فلتعلم ذلك .

الثاني : قال في المطلع السعيد[226] بعد أن ذكر قواعد العمل باللوغاريتم :

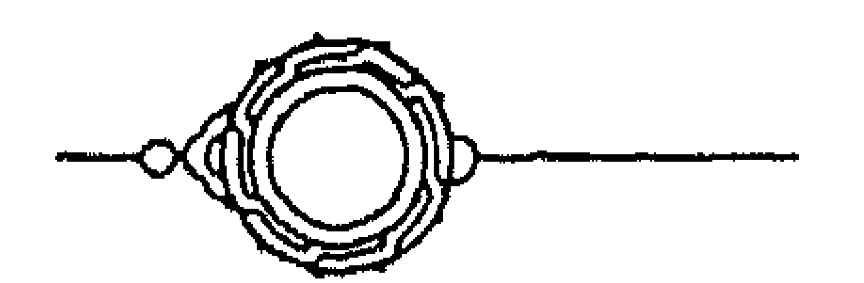
---

(226) يقصد كتاب . المطلع السعيد في حسابات الكواكب على الرصد الجديد لحسين زائد الأزهري . معجم المطبوعات770 : 1 .

«وهذا لأجل تسهيل الأعمال ، ولا فرق فيها بين الحساب القديم بالنسبة الستينية ، وبالعمل باللوغاريتم ، وإنما هي طرق في الحساب ، والنتيجة واحدة فافهم ذلك .

وقال في منهاج كشف الحجاب : «واعلم أن اغريتم أسهل شيء في التوقيت مع التحقيق ، وأن الربع أسهل منه مع التحقيق ، وجميع ما يخرج (باغريتم يخرج)[227] بالربع ، ولا ينكر ذلك إلا جاهله»[228] .

استخراج المطالب التي في النظم بعمل اللوغاريتم



طريق معرفة الميل:

دونك مثالا من ذلك و الشمس في 10 من الحمل ، أخذنا نسبة كح ، هي : 1,60070 جمعناه مع نسبة بعد الدرجة وهي :

1,23967 فكان الخارج :

2,84037 نظرنا ما يماثله أو يقاربه ، فوجدنا ما يقاربه :

2,84177 /

ثم خرجنا منه إلى القوس ، فكان : 59 3 ، وهو الميل .

طريق معرفة بُعد القطر:

أخذنا نسبة عرض البلد ، وهي : 1,74756

ثم أخذنا نسبة الميل ، وهي . 2,84177

فاجتمع . 4,58933

---

(227) ما بين قوسين زيادة من الأصل .

(228) منهاج كشف الحجاب عن التوقيت بالقبلة والآلة وغرتم والحساب ، الحسن بن عبد الرحمن المشيشي المراكشي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم : د 3241 (ضمن مجموع) ، ورقة رقم : 83/ب .

ثم نظرنا ما يماثل المجموع ، أو يفارقه ، فوجدنا المقارب له هذا : 2,58747

أخذنا قوسه فكان : 2 13 ، وهو قوس بعد القطر ، أخذنا جيبه لأن المطلوب جيب ، وهو : 2 19 .

طريق معرفة الأصل المطلق :

إما بما ذكر في النظم ، وإما بضرب تمام الميل في تمام العرض ، هكذا :

نسبة تمام الميل : 1,99895

نسبة تمام العرض : 1,91857

―――――

3,91752

قوسه : 55 48 ، جيبه وهو المطلوب : 49 37

طريق معرفة نصف الفضلة :

أن تأخذ قوس بعد القطر ، وقوس الأصل المطلق ، ثم تأخذ نسبتهما من اللوغاريتم ، وتطرح نسبة الثاني من نسبة الأول لما سبق أن قاعدة القسمة هنا بطرح المقسوم عليه من المقسوم ، وإليك مثالا من ذلك :

نسبة بعد القطر : 2,58747

نسبة الأصل المطلق . 1,91755

―――――

0,66992

أخذنا قوسه فكان 4 ، وهو نصف الفضلة ، والعمل فيما بقي في النظم لا يخفى عليك .

تنبيه:

لا عليك في طرح الكثير من القليل في عمل/ اللوغاريتم كما سلفت الإشارة إليه ، والله أعلم .

استخراج سمت القبلة لباريز بعمل اللوغاريتم

أما طول مكة من الجزائر فهو على ما تحرر بالرصد الجديد 54 45 ، كما في المطلع السعيد ، وهو الذي ينبغي اعتماده ، وأما طول باريز منها فهو 16 50 ، على ما في المطلع السعيد أيضا ، وعليه ففضل الطولين : 37 55 .

وأما عرض مكة فهو : 21 28 ، على ما في الدرر التوفيقية وشرح العلمي للوزكانية[229] ، فقال ، وهو المعتمد عندي ، وعلى ما في المطلع السعيد : 21 35 ، وعرض باريز : 48 50 ، ثم لنرجع إلى كيفية العمل في ذلك :

فرضنا عرض مكة 21 28 ميلا ، واستخرجنا منه الأصل المطلق وبعد القطر .

عملية الأصل المطلق :

ضربنا تمام الميل في تمام العرض هكذا :

نسبة عرض مكة المفروض ميلا :	1,96878
نسبة تمام عرض باريز :	1,81839
	ــــــــ
مجموعها هو الأصل المطلق :	3,78717
يزاد عليه نسبة تمام فضل الطولين :	1,89702
	ــــــــ
تحصل نسبة الأصل المعدل :	5,68419
وجيبه من العددي .	4833

عملية بعد القطر:

ضربنا جيب الميل في جيب العرض هكذا :

---

(229) أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، وهو شرح لتحرير المواقيت وأبدع وأغرب ما شتمل على نفائس اليواقيت لعبد العزيز بن عبد السلام بن أحمد الوزكاني الوزاني (1142هـ) ، أنظر : أبدع اليواقيت ، ص : 74-75 .

نسبة الميل : 1,56343

نسبة العرض : 1,87668

———

3.44011

وجيبه من العددي : 2755 ، ومجموع الأصل المعدل وبعد القطر .

———

موجب الارتفاع 7588 /

ضربناه في ستة وأخذنا من الخارج منزلتين للدرج ، ثم ضربنا الباقي في ستة ، وأخذنا منه منزلتين للدقائق ، فكان الحاصل : 35 31 ، وقوسه : 49 21 ، وإن شئت فخذ قوسه من التوقيتي من أول مرة ، وهو أقرب ، وهو ارتفاع سمت رؤوس أهل مكة في أفق باريز ، ونسبة هذا الارتفاع : 1,88007

ونسبة تمامه : 1,81387

ويحفظان عملية السعة .

قسمنا جيب الميل على جيب تمام العرض هكذا :

نسبة الميل 1,56343

نسبة تمام العرض : 1,81839

———

نسبة السعة : 0,74504 ، وجيبها العددي : 5559 .

عملية الحصة والتعديل والسمت:

ضربنا جيب الارتفاع في جيب العرض ، وقسمنا الخارج على جيب تمام العرض ، هكذا :

نسبة الارتفاع : 1,88007

نسبة العرض : 1,87668

———

3,75675

نسبة تمامـه : 1,81839

نسبة الحصة : 1,93836

وجيبها من العددي : 8677

أخذنا الفضل بينه وبين جيب السعة ، فحل تعديل السمت : 3118

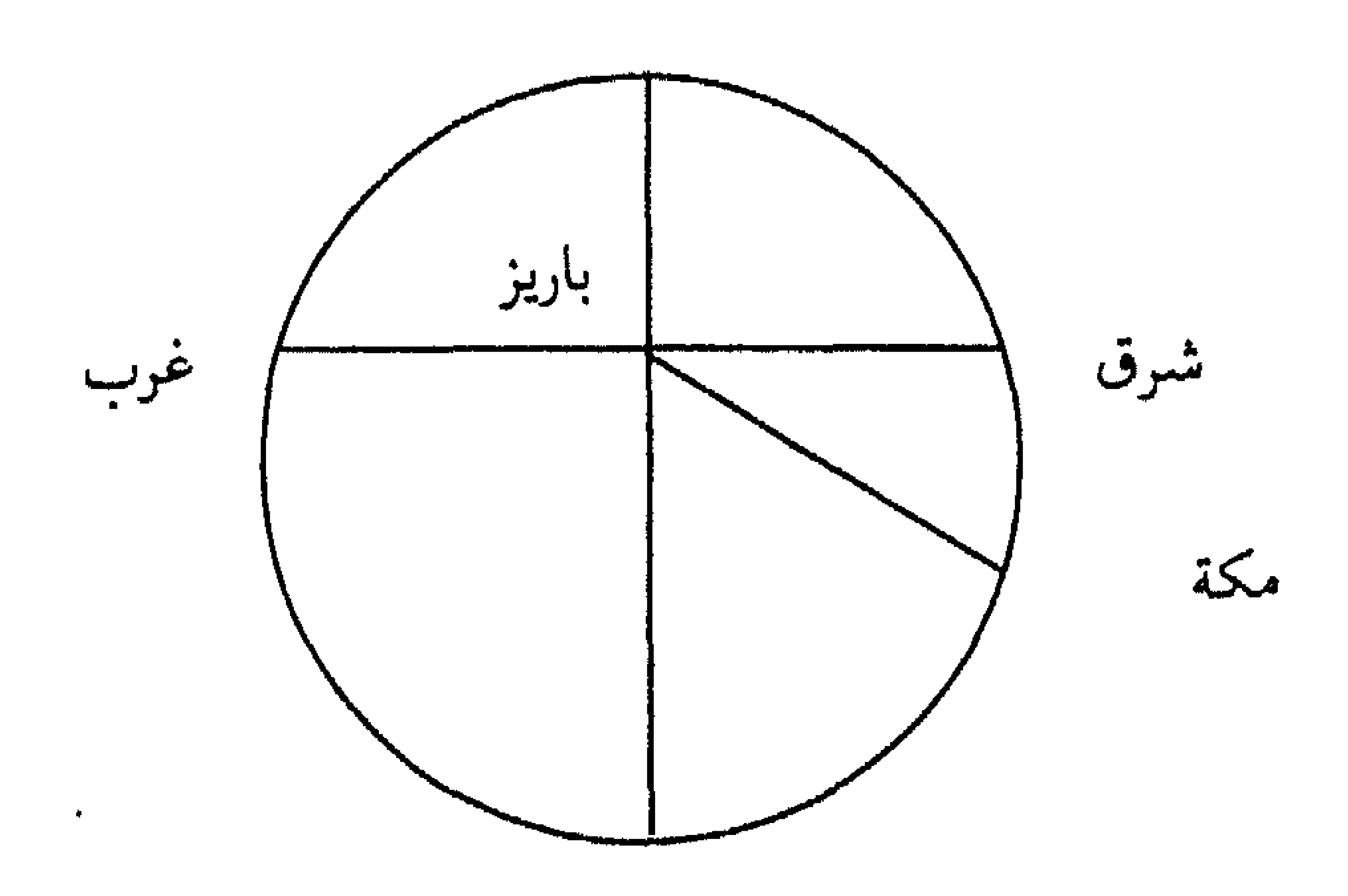
إذا ضربته في ستة وأخذت من الخارج منـزلتين إلى آخر ما سبق حصل عدد الدرج والدقائق : 18 43

وقوسـه : 18 11 قسمناه على جيب تمام الارتفاع هكذا : /

نسبة تعديل السمت 1,49424

نسبة تمام الارتفاع 1,81687

نسبة السمت المطلوب : 9,68037 وقوسه ، وهو سمت القبلة بباريز : 28 37 .



استطراد وتتميم للفائدة

استخراج سمت قبلة الرباط بعمل اللوغاريم:

أما طول الرباط من الجزائر فهو : 7 43 ، وفضل الطولين : 47 2 ، وأما عرضه فهو : 34 3 .

عملية الأصل المطلق:

نسبة تمام عرض مكة :	1,96878
نسبة تمام عرض الرباط	1,91832
	———
مجموعها هو الأصل المطلق :	3,88710
يزاد عليه نسبة تمام فضل الطولين :	1,83351
	———
تحصل نسبة الأصل المعدل :	5,72061
وجيبه من العددي :	5255

عملية بعد القطر:

نسبة عرض مكة المفروض ميلا ./

نسبة عرض مكة :	1,56343
نسبة عرض الرباط .	1,74812
	———
	3,31155

وجيبه العددي :	2029
	———
ومجموع الأصل و المعدل و بعد القطر هو جيب الارتفاع :	7304

ضربناه في ستة ، وأخذنا من الخارج منزلتين للدرج ، ثم ضربنا الباقي في ستة ، وأخذنا منه منزلتين للدقائق ، فكان الحاصل : 43 [230] ، وقوسه : 46 55 ، وهو ارتفاع سمت رؤوس أهل مكة في أفق الرباط بسبته : 1,86354 ، نسبة تمامه : 1,83446 ويحفظان .

---

(230) فراغ في الأصل .

عملية السعة :

قسمنا جيب الميل على جيب تمام العرض هكذا :

نسبة الميل . 1,56343

نسبة تمام العرض : 1,91832

———

نسبة السعة . 9,64511 جيبها من العرض : 4417

عملية الحصة والتعديل والسمت :

نسبة الارتفاع . 1,86354

نسبة العرض . 1,74812

———

نسبة تمامه . 3,61166

1,91832

———

نسبة الحصة . 1,69334

وجيبها من العددي : 4936

أخذنا الفضل بينه وبين جيب السعة فحصل تعديل السمت 519 ، ضربناه في ستة فحصل من الدرج والدقائق 3 6 ، وقوسه : 2 58

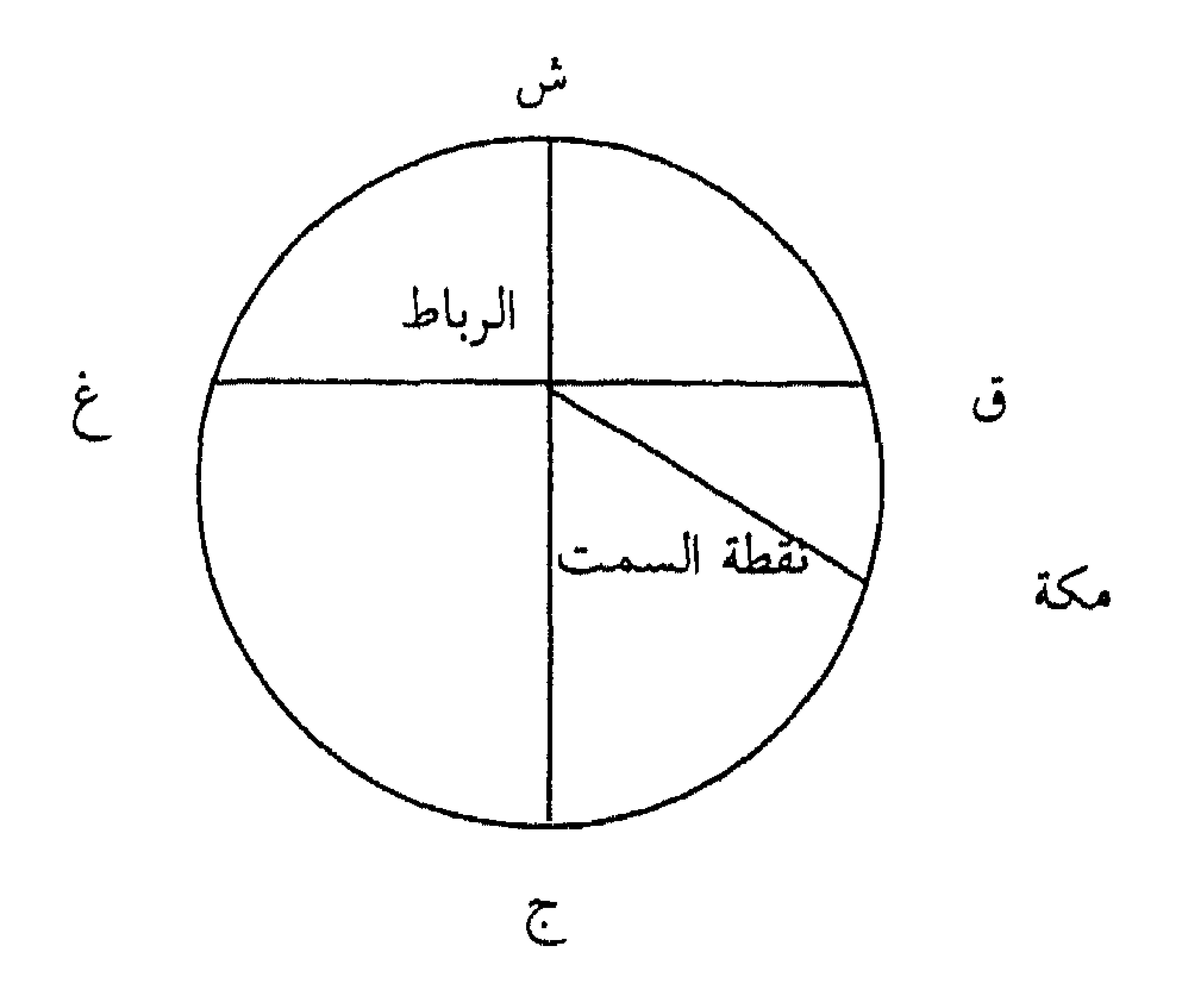
نسبة تعديل السمت : 2,71395

نسبة تمام الارتفاع . 1,83446

———

/ 0,87949

وقوسه ، وهو سمت القبلة بالرباط : 4 21



استخراج سمت قبلة فاس بعمل اللوغاريتم

أما طول فاس من الجزائر فهو 9 27 38 ، ففضل الطولين : 45 18 ، وأما عرضه فهو : 34 9

عملية الأصل المطلق:

نسبة تمام عرض مكة :	1,96878
نسبة تمام عرض فاس :	1,91781
مجموعها هو الأصل المطلق :	3,88659
يزاد عليه نسبة تمام فضل الطولين :	1,84720
تحصل نسبة الأصل المعدل :	5,73379
وجيبه العددي :	5417

عملية بعد القطر:

نسبة عرض مكة المفروض ميلا : 1,56343

نسبة عرض فاس : 1,74924

———

3,31267

وجيبه من/ العددي : 2055 ، ومجموع الأصل المعدل و بعد القطر هو جيب الارتفاع 7472 ، وقوسه : 48 20 ، وهو ارتفاع سمت رؤوس أهل مكة بفاس نسبته : 1,87334 ، نسبة تمامه : 1,82269 ، ويحفظان .

عملية السعة :

نسبة الميل :	1,56343
نسبة تمام العرض :	1,91781
	———
نسبة السعة :	9,64562
وجيبها العددي :	4422

عملية الحصة والتعديل والسمت :

نسبة الارتفاع :	1,87334
نسبة العرض :	1,74924
	———
	3,62258
نسبة تمامه :	1,91781
	———
نسبة الحصة :	1,70477

وجيبها العددي : 5057 ، والفضل بينها وبين جيب السعة هو تعديل السمت : 645 ، ضربناه في ستة فخرج من الدرج والدقائق : 3 52 ، وقوسه : 3 42 .

نسبة تعديل السمت : 2,80978

نسبة تمام الارتفاع : 1,82269

———

098709

وقوسه ، وهو سمت القبلة بفاس °5 34/ .

تنبيه :

إذا اعتبرت باريز منشأ الأطوال ، كما رسم على ذلك جل الخرائط التي وقفنا عليها ، فإنك تأخذ للعمل المذكور طول مكة منه ، وهذا واضح لما تعلم من أن فضل الطولين هو القوس التي من معدل النهار بين دائرتي نصف نهار البلدين ،وبعبارة أسهل هو البعد بين ذينك البلدين .

تتمة مهمة :

لا اعتماد على الأطوال المبثوثة في الأزياج القديمة ، فقد أبانت الأرصاد الجديدة علــى اختلالها وعدم مطابقتها ، فأنت ترى أنهم يجعلون بها لطول مكة من الجزائر 77 [231] ، والتحقيق أنه 54 45 ، وبينهما : 23 15 ، ولطول فاس من الجزائر أيضا : 25 [232] ، والتحقيق أنه : 9 27 ، وطول الرباط 24 ، والتحقيق أنه : 7 43 ، وهكذا . وهذا الذي دلت عليه الأرصاد الجديدة هو المؤيد بخرائط الجغرافيا لمطابقتها له أتم مطابقة ، ومكانها من الاعتماد معلوم ، فيها تسير البواخر في البر والبحر ، وبالأطوال المرسومة فيها تعين مواقع البلدان من الأرض .

والحاصل أن صحتها معلومة مقطوع بها ، وهذه المسألة لا أعلم الآن من تصدى للكلام عليها ، وكان النظر في علم الجغرافيا أول ما أثار لي هذه الفكرة ، وبقيت مدة مديدة أغالط نفسي وأعللها باحتمال الوقوف على وجه عندهم في ذلك ، ولما وقفت

---

(231) كذلك أثبتها عبد السلام العلمي ، أنظر : أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، ص : 139 .

(232) أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، ص : 139 .

على الأزياج التي بكتاب : الدّرر التوفيقية ، والتي بالمطلع السعيد في حسابات الكواكب على الرصد الجديد ، لم يبق عندي ريب في ذلك ، والله أعلم . وقد عرضت هذه الفكرة على جماعة من الحذاق في هذا الفن ، فوافقوا على ما ذكر ، ثم وقفت على اعتماد العلامة الأغزاوي[233] ، والشريف المحقق سيدي محمد العلمي[234] لها ، فحمدت الله على ذلك أن قلت أن هذا يؤدي إلى اختلال المحاريب التي في الدنيا ضرورة ، وأنه قد بني استخراجها على الأطوال القديمة ، فالجواب/ أن ظهور أثره في المحاريب قليل لا يؤثر في صحة الصلاة شيئا ، ألا ترى أن سمت القبلة بفاس[235] على عمل الأقدمين درجة وكسر ، وعلى هذه الأطوال خمس درج وكسر ، وأيضا فإن عمل استخراج السمت يكون بفضل الطولين ، وأخذه مما في جداول المتقدمين لا يأتي بفرق فاحش ، لأنهم كما أثبتوا عددا كثيرا من الأدراج لطول البلد الذي أردت استخراج السمت له ، كذلك فعلوا في طول مكة . وإذا رجعت إلى القول بالجهة ، وهو المعول عليه ، ألفيت أمامك مجالا واسعا بحمد الله .

تنبيه :

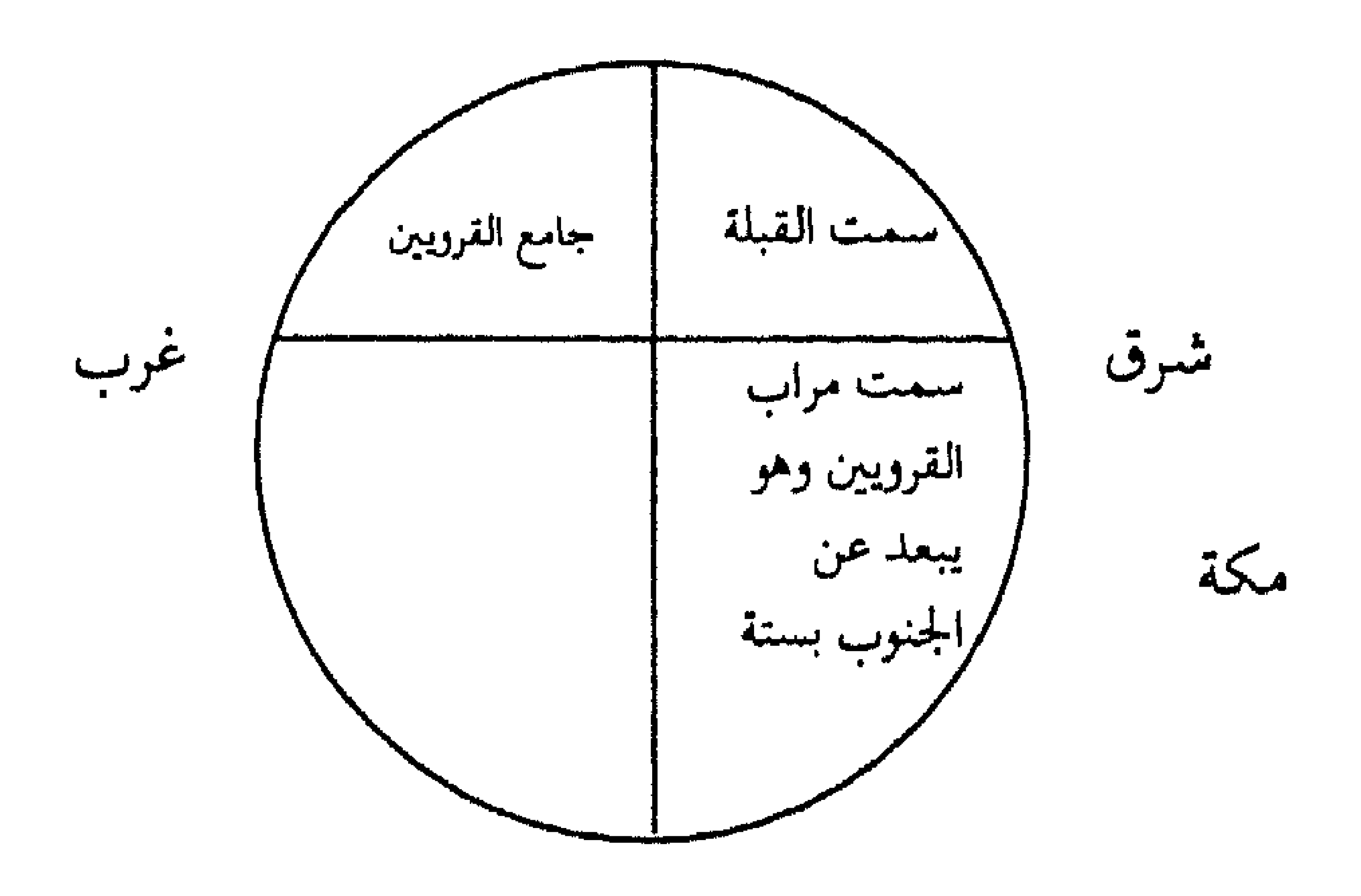
باستخراج سمت القبلة على الأرصاد الجديدة تخف وطأة الانحراف في محاريب فاس ، وسترى صورة ذلك إن شاء الله ، وهذه فائدة جليلة فاعرفها ، والله أعلم .

---

(233) أنظر : شرح منظومة في رفع الجيوب لعبد الرحمن الفاسي ، تأليف : محمد بن علي بن عمر بن علي الأغزاوي الفاسي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم : د 2148 (ضمن مجموع) ، ص : 150 .

(234) أنظر : أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، ص : 139 .

(235) أشارت كثير من المصادر إلى انحراف المحاريب في المغرب ، أنظر : قطف الأنوار على روضة الأزهار ، ص : 147 .



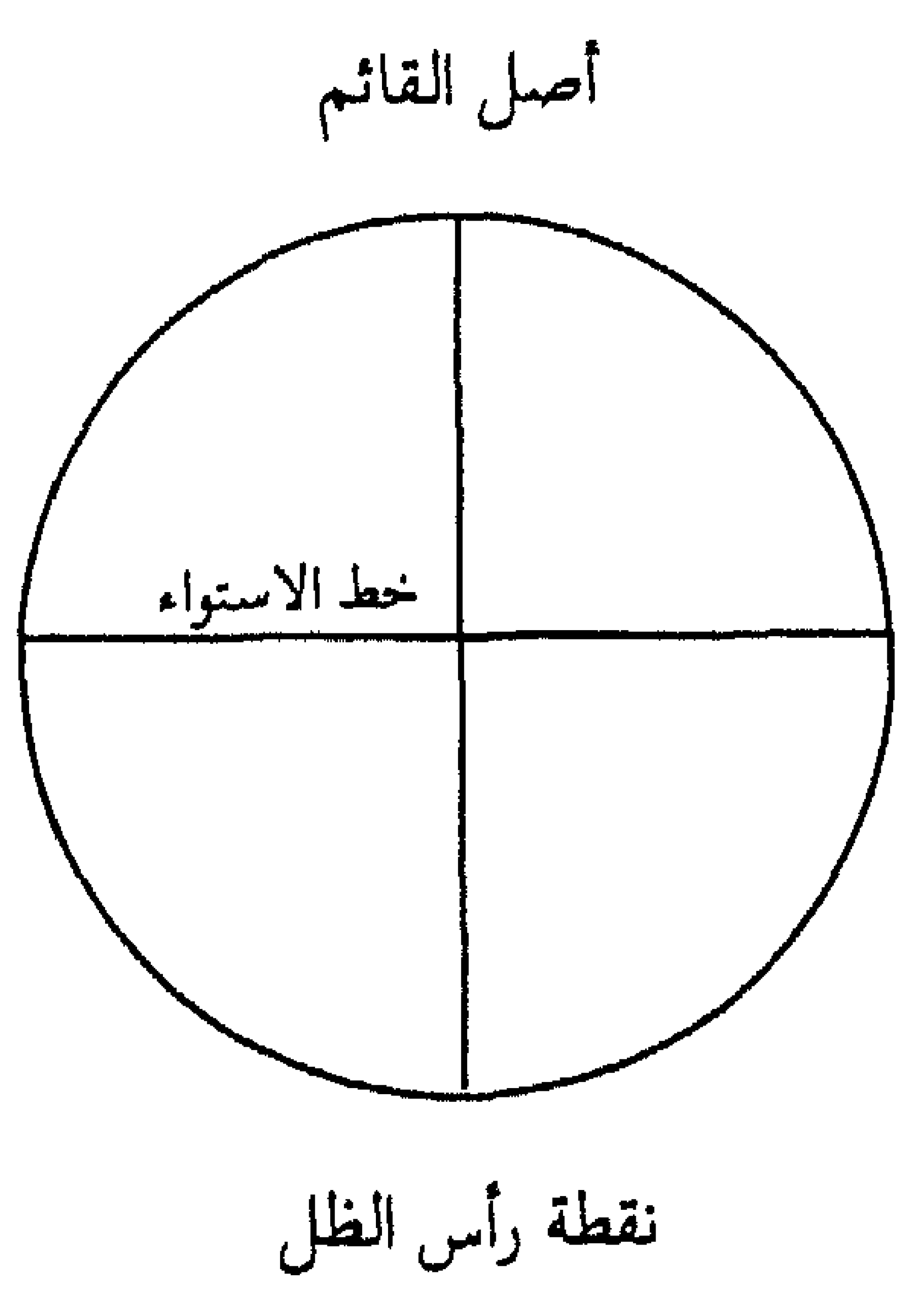
كلمة على انحراف الإبرة المغناطيسية في باريز

قد سلف أن الإبرة المغناطيسية تنحرف بباريز عشرة أدراج إلى المشرق ، وأن سبب الانحراف موضعي ، وهو كثرة الأسلاك الحديدية الممتدة/ هناك ، ودونك ما يدل لذلك . ففي كتاب اللوغارذمات لكرنيليوس فان ديك في الفصل الخامس من مبحث المساحة : «انحراف الإبرة هو الزاوية الحادثة بينها وخط شمالي جنوبي ، وقد يكون شرقا متى حاد قطب الإبرة عن قطب الأرض إلى الشرق ، وقد يكون غربا متى حاد إلى الغرب ، وهذا الانحراف ليس بثابت ، بل يختلف باختلاف الأماكن ، وفي المكان الواحد يختلف في أوقات مختلفة . هذا الاختلاف لم يكشف له عن قاعدة معلومة ، وربما يتغير في هذه السنة تغييرا ما ، وفي أخرى أكثر أو أقل . للإبرة أيضا انحراف يومي ، قبل الظهر يتحرك قطبها الشمالي إلى الغرب بعض الدقائق ، وبعد الظهر يعود إلى ما كان عليه ، ولها أيضا اختلافات مكانية ربما يكون سببها جاذبية معادن تحت سطح الأرض ، أو أسباب أخر موضعية ، لسبب هذا الاختلاف لا يعتمد على الإبرة بدون معرفة كمية انحرافها»(236) . ثم ذكر ما يستعلم به مقدار الانحراف ، وأقرب طريق لذلك أن تستخرج الجهات الأربع ، ومنها تعلم مقدار

(236) كتاب اللوغارذمات ، ص : 348 .

انحرافها ، وكيفية استخراجها لها وجوه ؛ منها ما ذكر العلمي في شرح الوزگانية : «أن ترصد ظليومك حتى يقف ؛ أي[237] يبلغ غاية القصر ، ثم تجمع بين نقطة رأس الظل ، واصل القائم بخط مستقيم ، فما كان فهو خط الزوال . ومنها أن تعرف الغاية من قبل الميل والعرض [بما سبق] [238] ، ثم تستخرج ظلها المبسوط كذلك ، وترصده ، فإذا حصل كان الخط الواقع عليه الظل هو خط الزوال ، فإذا أقمت عليه خطا قائما على زاوية قائمة حصل خط المشرق والمغرب ، فإذا وضعت رِجل البيكار على تقاطعهما ، وأدرت دائرة ، حصلت دائرة الأفق ، واتحدت الجهات الأربع فيها»[239] .


وهذه صورة ذلك : /



(237) في الأصل : أن .

(238) ساقط من الأصل .

(239) أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، ص : 141 .

كنا بهذه الديار لا نتناول من اللحوم شيئا ، فلو رآنا هناك الشيخ أبو العلاء[240] لعطّر بالثناء علينا الأرجاء ، وكثيرا ما كانت تجري بيننا المذاكرة في هذه المسألة ، وفي مسألة الدّجاجة المفتول عنقها[241] التي يرى ابن العربي رحمه الله جواز أكلها[242]. وكنت أقول في مسألة اللحوم أنه بعد تسليم ذبحها فإن القوم يستحلون أكل ما زهقت روحه بغير ذكاة شرعية ، وإذا كان كذلك فأكل ذبائحهم مشروط بأن لا يغيبوا عليها ، ففي مختصر أبي الضياء خليل : «وذبح لنفسه مستحَله ، وإن أكل الميتة إن لم يغب»[243]. وأما قول ابن العربي بالجواز في مسألة الدجاجة المفتولة العنق ، واستدلاله عليه بقوله تعالى : ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾[244] ، فهو شاذ مخالف للمشهور ، وإن كان جل من يرحل إلى البلاد الأروبوية يقلده ، أو قل يتستر به ، والآية لا دليل له فيها ، وبيان هذا أن الله تعالى حرم علينا أشياء سماها بأعيانها ، فقال جل من قائل : ﴿حرمت عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب/ وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾[245]. فكل واحد من هذه الأشياء منصوص على تحريمه من فوق سبع سماوات لم يبق فيه أبدا بحال مقال ، ولا مجال ، ثم بين جلت عظمته أن ما سوى ذلك فهو حلال ، ومنه طعام أهل الكتاب ،

---

(240) يقصد أبا العلاء المعري .

(241) أشار الصفار في رحلته إلى أن «الدجاج يباع عندهم منتوف الريش ولا يذبحونه ، وكذلك سائر صيدهم من أرانب وطير وغيره كله ميتة لا يذبحون شيئا منه ، ويرون أن في خنقه بقاء قوته» : رحلة الصفار إلى فرنسا ، ص : 176 .

(242) أحكام القرآن 554 : 2 .

(243) المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، ص : 64 .

(244) المائدة . 5 .

(245) المائدة .3 .

فقال : ﴿أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾[246] ، وبأدنى التفاتة يفهم أن عمومه مخصوص بغير المحرم المنصوص ، سواء حملنا الطعام على كل مطعوم ، أو على الذبائح ، كما فسره بذلك ابن عباس ، وأخرج ذلك البيهقي عنه[247] . ولو حملناه على عمومه لكان لحم الخنزير من متناولاته أيضا ، لأنه من طعامهم ، ويتعاطاه أحبارهم ورهبانهم حتى في بعض مراسم ديانتهم ، فإن قيل إن هذا قد خرج بدليل .

قلنا إن المنخنقة والموقوذة ومحطومة الرأس كذلك على هذا النهج وهذا السبيل ، والحاصل أنه يتعين تخصيص ثاني العمومين بالأول لا عكسه لما يلزم عليه من المحظور . وبعد أوبتي من سفرتي وجدت هذا الكلام بعينه منصوصا للشيخ الرهوني ، ونصه بعد كلام . «فأما أن يحمل قوله تعالى . ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾[248] على ظاهره ، فيدخل فيه الميتة والخنزير وما ذكر معهما ، وأما أن يقصر على غير ذلك كله ، وقصره على بعض دون بعض عمل باليد ودعوى لا دليل عليها ولا لها مستند فتأمله بإنصاف»[249] ، هـ . فحمدت الله على الموافقة ، ثم إن الذي يظهر لي ، والله أعلم ، أن ما وقع من ابن العربي غفلة عما نص عليه بنفسه في أحكام القرآن ، والكمال لله ، فقد قال في الآية المذكورة : «فإن قيل فما أكلوه على غير وجه الذكاة ، كالخنق وحطم الرأس ، فالجواب أن هذه ميتة وهي حرام بالنص ، وإن أكلوها فلا نأكلها نحن ؛كالخنزير فإنه حلال لهم ومن طعامهم ، وهو حرام علينا ، فهذه أمثلة»[250] . ثم قال بعد هذا الكلام بأربعة عشر سطرا : «ولقد سئلت عن النصراني/ يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل يؤكل معه ، أو تؤخذ طعاما منه؟ ، وهي المسألة الثامنة . فقلت : تؤكل لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه ، وإن لم تكن

---

(246) المائدة . 5 .

(247) سنن البيقهي الكبرى ، 282 : 9 .

(248) المائدة . 5 .

(249) حاشية الرهوني على شرح الزرقاني على المختصر 13 : 3 .

(250) أحكام القرآن 553 : 2 .

هذه ذكاة عندنا ، ولكن الله تعالى أباح طعامهم مطلقا وكل ما يرونه في دينهم فإنه حلال لنا في ديننا ، إلا ما كذبهم الله سبحانه فيه ، ولقد قال علماؤنا إنهم يعطوننا أولادهم ونساءهم في الصلح ، فيحل لنا وطؤهن ، فكيف لا تحل ذبائحهم ، والأكل دون الوطء في الحل والحرمة»[251] ، هـ .

نعم في حواشي العلامة الرهوني ما نصه : «ظاهر كلام ابن العربي التعارض ، ولكن جمع بينهما ابن عرفة[252] ونصه : وقول ابن عبد السلام . أجاز ابن العربي أكل ما قتله الكتابي ، ولو رأيناه يقتل الشاة ، لأنه من طعامهم ، يرد بأن ظاهره نوى بذلك الذكاة أم لا ، وليس كذلك ، فنقل جميع ما تقدم عنه مختصرا ، وقال ما نصه قلت : فحاصله أن ما يرونه مذكى عندهم يحل لنا أكله ، وإن لم تكن ذكاته عندنا ذكاة . هـ . منه ، فتأمله هـ»[253] . فحاصله أن محمل كلامه الأول على ما إذا كانوا لا يرون ذلك ذكاة عندهم ، ومحمل الثاني على ما إذا كانوا يرون أن ذلك . وبعد الاعتراف بجلالة ابن عرفة ومكانته ، أقول إن ذلك الحمل عريق في البعد أو غير ممكن ، وذلك أن تنظيره بالخنزير الذي هو حلال لهم ومن طعامهم ، يقتضي أنهم أكلوا ذلك على وجه الذكاة عندهم ، وهو مصادم جزما لما قاله في مسألة الدجاجة المفتولة العنق ، والله أعلم .

ثم إليك نبذة من النصوص في اشتراط عدم الغيبة في ذكاة مستحل أكل الميتة ، وفي الرد على ابن العربي نقلا عن حافظ المذهب ، الواعية الرهوني : « قال أبو الوليد الباجي في المنتقى ما نصه : وإذا علمت أن النصراني ممن يستبيح الميتة فلا تأكل من ذبيحته إلا ما شاهدت ذبحه»[254] ، هـ .

وفي التوضيح عند قول ابن الحاجب : وأما من / يستحل الميتة ، فإن غاب عليها لم تؤكل ، ما نصه ، كالفرنج فإنهم يستحلونها ، هـ . و«قال ابن ناجي في شرح

---

(251) أحكام القرآن 554 : 2 .

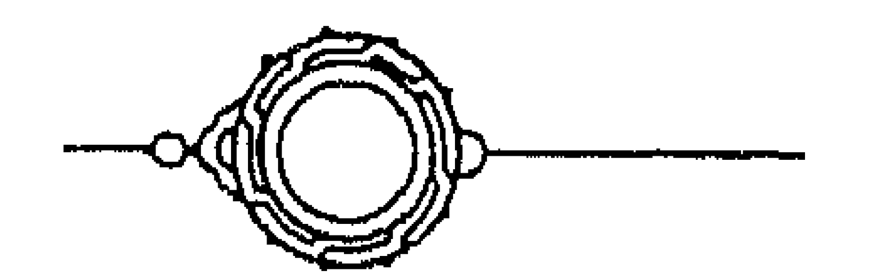
(252) ابن عرفة . محمد بن محمد بن عرفة ، من كبار الفقهاء ، أخذ عنه البرزلي وغيره ، له المختصر الفقهي ، توفي سنة 803هـ . شجرة النور الزكية ، ص : 227 .

(253) حاشية الرهوني على شرح الزرقاني على المختصر 11 : 3 .

(254) نفسه .

الرسالة : واختلف المذهب إذا كان ممن يسل عنق الدجاجة ، فالمشهور لا تؤكل ، واختار ابن العربي أكلها ، ولو رأيناه ، لأنه من طعامهم . قال ابن عبد السلام : وهو بعيد»[255] ، هـ .و نقله الحطاب وبناني وسلماه ، قال : وهو حقيق بالتسليم ، ثم قال : «و يكفي في كون ما لابن العربي شاذا اتفاق الأئمة على عزوه له وحده ، ولو لم يعترضوه ، فكيف مع اعتراض غير واحد له ، كقول ابن سراج السابق إنه هفوة ، وقول ابن عبد السلام السابق ، وهو بعيد ، وقول التوضيح ما نصه : ونقل عن ابن العربي الجواز فيما قتلوه ، ولو رأينا ذلك لأنه من طعامهم ، واستبعد هـ . وقد بالغ البساطي في إنكاره فقال ما نصه : ليت قوله هذا لم يخرج للوجود ولا سطر في كتب الإسلام ، هـ»[256] . نقله بب[257] وآخره : انتهى . باختصر .

مسألة تناسب المقام



سئلت عن الكتابي يعلم المسلم كيفية الصيد على الوجه الشرعي ، هل يؤكل ما صاده كذلك ، وإذا دعا إلى صيد صنعه هل يؤكل معه على أنه من طعامه الذي أحل الله لنا؟ . فأجبت بما نصه في المواق عن المدونة ، «قال مالك : وتؤكل ذبيحة اليهودي والنصراني[258] . قال ابن القاسم : ولا أرى صيدهما مثل ذبائحهما ، وأرى أن لا يؤكل صيدهما . اللخمي ، قول الله سبحانه : ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ .[259] قال ابن الجهم . معناه ذبائحهم . ورشح اللخمي جواز صيد الكتابي بأنها ذكاة كلها ، فلا فرق بين تذكيتهم الإنسي والوحشي»[260] ، هـ .

---

(255) مواهب الجليل212 : 3 .

(256) حاشية الرهوني على شرح الزرقاني على المختصر 14 : 3 .

(257) يقصد أحمد بابا .

(258) أنظر . أحكام القرآن 552 : 2 .

(259) المائدة : 5 .

(260) التاج والإكليل لمختصر خليل ، على هامش كتاب مواهب الجليل ، 214 : 3 .

وفي الحطاب عن المدونة أيضا : «ويؤكل ما ذبحه أهل الكتاب ولا يؤكل ما صادوه ، لقوله تعالى : ﴿تناله أيديكم ورماحكم﴾[261] ، ويؤكل ما صاده المجوسي من صيد البحر دون ما صاده من البر ، إلا أن تدرك ذكاته قبل أن ينفذ المجوسي مقاتله ، هـ . وفيها أيضا : ولا تؤكل ذبيحة المرتد ولا صيده ، هـ . وفي التوضيح : المشهور منع صيد الكتابي ، وقال ابن هارون وأشهب بإباحته ، واختاره ابن يونس والباجي واللخمي لأنه من طعامهم ، ولمالك في الموازية ككراهته ابن بشير . ويمكن حمل المدونة على الكراهة ، ولا يصح من المجوسي باتفاق»[262] . انتهى كلامه .

وبالجواز قال ابن وهب أيضا ، وصححه ابن العربي ، والاستدلال للمنع بقوله تعالى : ﴿تناله أيديكم ورماحكم﴾[263] . قال في التوضيح : فيه نظر لأنه اختلف في المراد بهذه الآية ، فقيل المراد بها إباحة الصيد ، وقيل منعه ، واختاره اللخمي وغيره . وإن المراد الامتناع في حال الإحرام ، والابتلاء في . ﴿ليبلونكم الله﴾ ، الاختبار هل يصبر عنه ، لقوله تعالى : ﴿ليعلم الله من يخافه﴾ ، ولقوله : ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ ، انتهى . نقله البناني .

أقول : ويدل للتفسير الثاني ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل من أن الآية نزلت في عمرة الحديبية حيث ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون ، فكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم ، وكانوا متمكنين من صيدها ، أخذا بأيديهم ، وطعنا برماحهم ، ذكر ذلك الألوسي في تفسيره[264] ، وفي الأحكام لابن العربي ، بعد أن حكى اختلاف العلماء في المخاطب بهذه الآية ، هل المحرمون أو المحلون؟ ؛ «المسألة السادسة ، قال مالك : لا يحل صيْد الذميّ بناء على أن الله خاطب المؤمنين المحلين في أول الآية ، فخرج عنهم أهل الذمة ، لاختصاص المخاطبين بالإيمان ، فيقتضي ذلك

---

(261) المائدة : 94 .

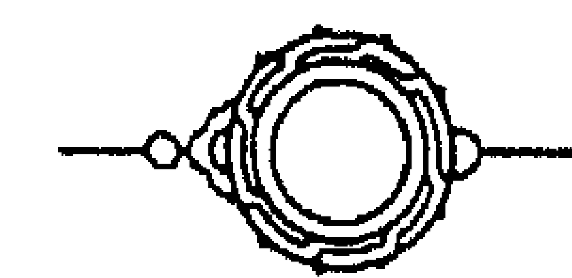
(262) مواهب الجليل 214 : 3 .

(263) قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ ، المائدة . 94 .

(264) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 35 : 7 .

اقتصاره عليهم ، إلا بدليل يقتضي التعميم ، وليس هذا من باب دليل الخطاب الذي هو تعليق الحكم بأحد وصفي الشيء ، ليدل على أن الآخر بخلافه ، ولكنه من باب أن أحد الوصفين منطوق به ، مبين حكمه ، والثاني مسكوت عنه ، وليس في معنى ما نطق به . فإن قيل : إن كان مسكوتا عنه فحمله عليه بدليل قوله تعالى ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾[265] ، قلنا . هذا يدل على جواز كل طعامهم ./ والصيد باب آخر ، فلا يدخل في عموم ذكر الطعام ، ولا يتناوله مطلق لفظه ، فإن قيل نقيسه عليه فإنه نوعُ ذكاةٍ ، فجاز من الذمي كذبح الإنسي . قلنا . للمقدور عليه مما يذكى شروط ، ولما لا يقْدَّر عليه شروط أخر ، ولكل واحد منهما موضوع وُضع عليه ، ومنصب جُعِل عليه ، ولا يجوز الإلحاق فيما اختلف موضوعه في الأصل ، وهذا فن من أصول الفقه بيناه في موضعه»[266] . ثم قال بعد كلام : «والصحيح عندي جواز أكل صيده»[267] . فتحصل أن المشهور منع أكل صيد الكتابي ، وقال أشهب وابن وهب وابن هارون بإباحته ، واختاره ابن يونس والباجي واللخمي[268] ، وصححه ابن العربي ، وتطبيق هذا الجواب على مادتي السؤال واضح ، والله أعلم .

حكم الكتابي إذا بدل وغير هل يخرجه ذلك عن كونه كتابيا أم لا؟.



أقول لا يخرجه ذلك عن كونه كتابيا ، لأن الله تعالى أطلق عليهم أهل الكتاب في غير ما آية ، مع حكايته عنهم أنهم ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[269] ، وغير ذلك من الفظائع و المخزيات ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب هرقل وقومه

---

(265) المائدة : 5 .

(266) الأحكام 656 : 2 .

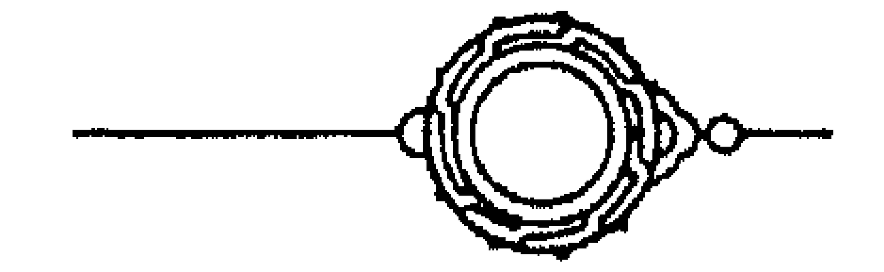
(267) نفسه 658 : 2 .

(268) أنظر . حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل13 : 3 .

(269) النساء . 46 ، المائدة . 13 .

بقوله : ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[270] ، الآية . وبهذا أفتى علامة القطر الإفريقي سيدي إبراهيم الرياحي ، وقد سئل في ضمن أسئلة بما نصه ، وكذلك النصارى هم أهل كتاب ، وهل تلاعبهم بدينهم يخرجهم عن كونهم أهل كتاب أم لا ، لأن الله سماهم أهل الكتاب وهو عالم بأنهم غلوا في دينهم ، وقالوا على المسيح غير الحق ، فأجاب بما نصه : وأما كون النصارى أهل كتاب فمما لا شك فيه ، وإن تلاعبوا بدينهم ، وأين من لم يلعب بدينه من أهل الأديان ، حسبنا الله ونعم الوكيل من ذلك .

انتقاد ما وقع في باب الذكاة من اختصار الشيخ كنون[271] رحمه الله من أن اليهودي مجسمون مشركون ، وأنهم لم يبقوا أهل كتاب/ ، قال : ولذلك كان بعض مشايخنا من أهل المدينة المنورة ، وبحفظي أنه الشيخ صالح الرضوي ، يصرح بأنه لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم مصادم للمنصوص بعد تسليم تحريره ، وإذا فلا يعول عليه ، والله أعلم .



تحريم شحم الخنزير

كنت كتبت فيه ما نصه : مما يقع السؤال عنه كثيرا في هذه الأيام دليل حرمة شحم الخنزير ، مع أن المنصوص على حرمته في القرآن إنما هو اللحم لا الشحم ، فكما أن قوله تعالى : ﴿حرمنا عليهم شحومهما﴾[272] ، لا يتناول اللحوم ، فكذلك قوله تعالى : ﴿ولحم الخنزير﴾[273] ، لا يتناول الشحم ، أي فيكون مباحا ، هذا وجه السؤال ، وهذا تقريره .

---

(270) آل عمران . 64 .

(271) حاشية المدني على كنون ، على هامش حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل ، 6 : 3 .

(272) الأنعام . 146 .

(273) البقرة : 173 ، المائدة : 3 ، النحل : 115 .

والجواب ، والله الموفق ، أن لفظ اللحم يتناول الشحم لغة وشرعا ، فهو مدلول له دلالة مطابقة ، بخلاف لفظ الشحم ، فإنه لا يتناول اللحم لا لغة ولا شرعا ، لأنه أخص منه ، ونظيره لفظ الحيوان والإنسان ، فالحيوان أعم يتناول الإنسان وغيره ، والإنسان أخص لا يتناول إلا نوع الناطق منه . أو أن اللحم هو الأصل ، والشحم متولد عنه وجزء منه ، فهو مدلول له دلالة تضمن كدلالة لفظ الشجرة على ما يتولد منها من أوراق وأثمار ، فلفظ الشجرة يدل على كل ذلك ، بخلاف لفظ الأوراق أو الأثمار فإنه لا يتناولها ، ويقرب من هذا قول صاحب الكشاف . «فإن قلت : فما له[274] ذكر لحم الخنزير دون شحمه؟ ، قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه ، بدليل قولهم : لحم سمين ، يريدون أنه شحيم»[275] .

ولكن الأرجح ما صدرنا به ، وهنا وجه آخر ، وهو أن اللحم لقب ، فلا يعتبر له مفهوم على ما تقرر في الأصول . ووراء هذا كله إجماع الأمة على حرمة جميع أجزائه ؛ لحمه وشحمه وعصبه وجلده ، والإجماع حجة شرعية ، وخرقه حرام . قال تعالى : ﴿من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت/ مصيرا﴾[276] .

قال ابن العربي في الأحكام : «اتفقت الأمة على أن الخنزير حرام بجميع أجزائه ، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد شغفت المبتدعة بأن تقول فما بال شحمه ، بأي شيء حرم؟ وهم أعاجم لا يعلمون إن من قال لحما فقد قال شحما ، ومن قال شحما فلم يقل لحما ؛ إذ كل شحم لحم ، وليس كل لحم شحما من جهة اختصاص اللفظ ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية ، كما أن كل حمد شكر ، وليس كل شكر حمدا من جهة ذكر النعم ، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم»[277] ، هـ . ولأجل ما بينهما من العموم والخصوص المطلق ، قال

---

(274) في الأصل : باله .

(275) الكشاف 215 : 1 .

(276) النساء . 146 .

(277) أحكام القرآن 54 : 1 .

في المختصر عاطفا على ما يقع به الحنث . «وبالشحم في اللحم لا العكس»[278] ؛ يعني أن من حلف أن لا يأكل لحما فأكل شحما فإنه يحنث ، ومن حلف أن لا يأكل شحما فأكل لحما فإنه لا يحنث .

وقال المحقق النظار أبو إسحاق الشاطبي في كتاب الاعتصام لدى كلامه على أنواع دخول البدعة في الشرع : «فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها ، أصولا وفروعا ، أمران ؛ أحدهما أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيا ، أو كالعربي في كونه عارفا بلسان العرب ، بالغا فيه مبالغ العرب ، أو مبالغ الأيمة المتقدمين ، كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم ، وليس المراد أن يكون حافظا كحفظهم ، وجامعا كجمعهم ، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيا في الجملة ، وبذلك امتاز المتقدمون من علماء العربية على المتأخرين ، إذ بهذا المعنى أخذوا أنفسهم حتى صاروا أيمة ، فإن لم يبلغ ذلك ، فحسبه في فهم معاني القرآن التقليد ، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به»[279] . ثم قال : «والأمر الثاني ؛ أنه إذا أشكل عليه في الكتاب ، أو في السنة ، لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية ، فقد يكون إماما فيها ، ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات ، فالأولى في حقه الاحتياط/ إذ قد يذهب على العربي المحض بعض[280] المعاني الخاصة حتى يسأل عنها»[281] . وأطال النفس في هذا الموضوع ، ثم ساق أمثلة لوقوع الخطإ في فهم كلام الله وكلام رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بسبب الجهل بالعربية ؛ منها «قول من زعم أن المحرّم من الخنزير إنما هو اللحم ، وأما الشحم فحلال ، لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم ، ولو عرف أن اللحم يطلق على الشحم أيضا ، بخلاف الشحم فإنه لا يطلق على اللحم ، لم يقل ما قال»[282] .

---

(278) المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، ص : 69 .

(279) الاعتصام 2 : 256-257 .

(280) في الأصل . بعد ، والصواب ما أثبتناه .

(281) الاعتصام 2 : 258 .

(282) الاعتصام 2 : 261 .

ثم قال . «فقد ظهر بهذه الأمثلة كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله تعالى وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، والصحابة ، رضوان الله عليهم ، برآء من ذلك ، لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام الله إلى أدوات ولا تعلم ، ثم [من] جاء بعدهم ممن ليس بعربي اللسان ، تكلف ذلك حتى علمه ، وحينئذ داخل القوم في فهم الشريعة وتنزيلها على ما ينبغي فيها ، كسلمان الفارسي وغيره ، فكل من اقتدى بهم في تنزيل الكتاب والسنة على العربية إن أراد أن يكون من أهل الاجتهاد ، فهو ، إن شاء الله ، داخل في سوادهم الأعظم ، كائن على ما كانوا عليه ، فانتظم في سلك الناجية»[283] . هـ ، انظره .

هذا وكما حكى الإجماع على تحريم جميع أجزائه ابن العربي ، كما مر ، كذلك حكاه ابن رشد في البداية ، وغيرهما ، ونص ابن رشد : «اتفقوا على تحريم شحمه ولحمه وجلده»[284] .

ولم أقف على خلاف ذلك بعد البحث إلا ما ذكره الألوسي في تفسيره[285] ، وغيره ، من أن داوود خص الحرمة باللحم لظاهر النص ، وهو محجوج بالإجماع ، على أني لا أزال استغرب هذه القولة منه ، لأن تخصيص الحرمة باللحم خلف من الكلام منشؤه الجهل بالعربية ، وأيضا فقد حكى من سبق الإجماع على خلافه ، ولم ينسب ابن العربي والشاطبي إلا للمبتدعة ، وقد وصف ابن السبكي الشيخ داوود بأنه/ جبل من جبال العلم والدين ، له من سداد النظر وسعة العلم ونور البصيرة و الإحاطة بأقوال الصحابة والتابعين ، والقدرة على الاستنباط ما يعظم وقعه إن قلت لعلهم لم يعتبروا خلافه ، ولذلك أطلقوا الاتفاق . قلت : أما عدم اعتبار خلاف الظاهرية ، فهو الذي عليه الجمهور ، قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني[286] : «الجمهور أنهم ،

---

(283) الاعتصام 263 : 2 .

(284) بداية المجتهد 342 : 1 .

(285) أنظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 48 : 8 .

(286) أبو إسحاق الإسفرايني . إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، ركن الدين ، فقيه شافعي ، من أئمة الدين كلاما و أصولا وفروعا ، له كتاب : الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين ، توفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة . أنظر : طبقات الشافعية الكبرى 258 : 5 ، وفيات الأعيان 28 : 1 .

يعني نفاة القياس ، لا يبلغون رتبة الاجتهاد ، ولا يجوز تقليدهم القضاء ، [وإن ابن أبي هريرة وغيره من الشافعيين لا يعتدون بخلافهم في الفروع] [287] ، وهذا هو اختيار إمام الحرمين ، وعزاه إلى أهل التحقيق ، فقال : و المحققون من علماء الشافعية لا يقيمون لأهل الظاهر وزنا . وقال في كتاب أدب القضاء[288] من النهاية : [كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين فالحكم بحسنه منصوص] [289] وبحق قال حبر الأصول القاضي أبو بكر ، إني لا أعدهم من علماء الأمة ، ولا أبالي بخلافهم ، ولا وفاقهم . وقال في باب قطع اليد : والرجل في السرقة كررنا في مواضع من الأصول والفروع أن أصحاب الظاهر ليسوا من علماء الشريعة ، وإنما هم نقلة إن ظهرت الثقة ، انتهى»[290] .

ولكن مجمل هذا الكلام كما قال ابن السبكي[291] على ابن حزم وأمثاله ، قال : وأما داوود[292] فمعاذ الله أن يقول إمام الحرمين ، أو غيره ، أن خلافه لا يعتبر ، فلقد كان جبلا من جبال العلم والدين ، لا تقل إن مبادئ مذهب داوود تقبل ما ذكر لما اشتهر من أن أساس مذهب العمل بظاهر الكتاب والسنة ، لأنا نقول قد نصوا على أن محل ذلك إذا لم يدل دليل منهما أو من الإجماع ، على أنه يراد به غير الظاهر ، على أنه لا تأويل أصلا في تناول لفظ اللحم للشحم ، بل هو مفهوم منه بحسب الظاهر لغة وشرعا ، فتدبر .

---

(287) ساقط من الأصل والإضافة من كتاب . طبقات الشافعية الكبرى .

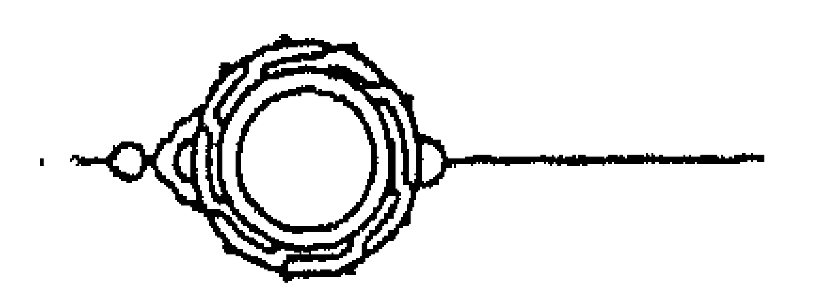
(288) أدب القضاء أو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات للقاضي شهاب الدين ابن أبي الدم .

(289) ساقط من الأصل ، والإضافة من كتاب . طبقات الشافعية الكبرى .

(290) طبقات الشافعية الكبرى ، ص : 290 : 2 .

(291) يأخذ المؤلف هنا عن ان السبكي بتصرف ، أنظر : طبقات الشافعية الكبرى 291 : 2 .

(292) هو داوود بن علي بن خلف الأصبهاني ، إمام أهل الظاهر ، نفى القياس وتمسك بظاهر النص ، ولد سنة اثنتين ومائتين (102هـ) ، وتوفي سنة سبعين ومائتين (270)هـ ، أنظر : سير أعلام النبلاء 102 : 13 ، وفيات الأعيان 255 : 2 .



استطراد:

فائدة : قال داوود رحمه الله إن جلد الخنزير يطهر بالدبغ[293] ، وكأنه حمل حديث : أيما إهاب دُبغ فقد طهر[294] ، على عمومه . راجع كتب الخلاف .

بقي أن تقول : هل ينتفع من الخنزير بشيء؟ . فالجواب أنه ينتفع بشعره/ في نحو الخرز إذا جزّ ، قول خ[295] . «وشعْر ، ولو من خنزير ، إن جز»[296] ، وسواء جز منه حيا أو ميتا ، لأنه مما لا تحله الحياة ، وما لا تحله الحياة لا ينجس بالموت ، وهذا مذهب المالكية والحنفية ، والله أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وكتبه عبد ربه محمد بن عبد السلام السائح الله وليه ومولاه .

مسألة انقطاع الاجتهاد

أملى الشيخ صالح في الاستدلال لذلك ما معناه أن السلف الصالح والأئمة المجتهدين أدرى بمواع ألفاظ الشارع لقرب عهدهم بنزول القرآن ، وأخذهم السنة غضة طرية ، وليس من يتلقى معاني الكتاب والسنة ممن عاين أسبابها ووقائعها ، كمن يأخذها من وراء سجاف الألفاظ ، فالواجب الرجوع إليهم ، والوقوف مع فهمهم ، هـ .

---

(293) بداية المجتهد 57 : 1 .

(294)سنن البيهقي الكبرى 16 : 1 .

(295) يقصد الشيخ خليل بن إسحاق صاحب المختصر .

(296) المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، ص : 8 .

(297) أحكام القرآن 901 : 2 .

(298) التوبة : 28 .

قال الشافعي بجوازه بإذن مسلم ، ما عدا المسجد الحرام[297] ، لقوله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾[298] .

وقال أبو حنيفة : لا يمنع الكافر من جميع المساجد ، ومنعه مالك مطلقا ، إلا إذا دعت لذلك ضرورة ، فيجوز ، ولو بغير إذن المسلم[299] ، قال الزرقاني : ولذا لم يمنع مالك بنيان النصارى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وخففه ، واستحب أن يكون دخولهم من جهة عملهم .

وهناك قول رابع حكاه في الفتح[300] ، وهو الإذن للكتابي خاصة . ولما جرت المذاكرة في هذا الموضوع ، قلت إنه يرد على المالكية حديث ثمامة بن أثال في الصحيحين ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث خيلا قبل نجد ، فجاءت برجل يدعى ثمامة بن أثال ، فربطوه إلى سارية من سواري المسجد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه ويقول : ما عندك يا ثمامة[301] . الحديث .

وكنت أجبت عنه قديما بأنه منسوخ بقوله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد/ الحرام بعد عامهم هذا﴾[302] ، لأن نزول الآية كان سنة تسع ، وهي التي حج فيها أبو بكر ، وأذن علي ، رضي الله عنهما ، ببراءة ، وهي المرادة بالإشارة في الآية ، وقضية ثمامة كانت قبل ذلك في سرية القرطاء سنة ست[303] ، وبدليل ما في الصحيح والفتح[304] أن ثمامة لما قدم مكة معتمرا يلبي ، أخذته قريش فقالوا : لقد اجترأت علينا ، وأرادوا قتله ، فقال قائل منهم : دعوه ، فإنكم تحتاجون إلى

---

(299) أنظر : أحكام القرآن 901 : 2 .

(300) فتح الباري 560 : 2 .

(301) صحيح البخاري 191 : 1 .

(302) التوبة ، 28 .

(303) البداية والنهاية 217 : 5 ، تاريخ الطبري 208 : 2 .

(304) فتح الباري 88 : 8 .

الطعام من اليمامة ، فتركوه ، ثم رجع إلى بلاده ، فمنعهم أن يميروا أهل مكة ، ثم شكا أهل مكة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث يشفع لهم عند ثمامة .

وحاصل القول في المسألة أنهم لم يكونوا ممنوعين من دخول المسجد الحرام ، فليكن غيره من المساجد كذلك ، ثم نسخ ذلك بنزول الآية .

إن قيل قد تقرر في الأصل أن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع بين الدليلين ، ابن عاصم :

[رجز]

والنسخ لا تقل به إلا إذا
لم تلق فيه غيره ذاك ما خذا[305]

وهنا يمكن الجمع بحمل الآية على خصوص ما وردت فيه .

قلنا إن الآية تفيد أن علة منعهم من المسجد الحرام كونهم نجسا ، كما تفصح عن ذلك الفاء ، لا أن المنع لذات المسجد الحرام . وإذا كانت العلة ما ذكر ، وجب أن يمنعوا عن غيره من المساجد أيضا ، لأن العلة تعود على النص بالتعميم ، ولأن ما كان بالذات لا يتخلف ، وقد قال الله تعالى : ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾[306] ، ومن رفعها تنزيهها عمن حكم الحكم العدل عليه بأنه نجس ، وإن كنا نسلم أنه ليس المقصود أنهم نجسو العين على ما عليه أهل المذاهب وجمهور المفسرين ، وإنما المعنى ، كما قال الألوسي ، «أنهم ذوو نجس لخبث بواطنهم وفساد عقائدهم ، أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات ، فهي ملابسة لهم»[307] . قصارى ما هناك أنه خص المسجد الحرام بالذكر لكونه الذي كانت تشرئب أعناقهم للدخول إليه والطواف به ، والله أعلم .

---

(305) لم نقف على هذا البيت في كتاب : البهجة في شرح التحفة على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام لابن عاصم الأندلسي .

(306) النور . 36 .

(307) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 86 : 10 .

بقي لك أن تقول . كيف يقول الإمام الأعظم بالجواز مطلقا مع الآية المانعة؟ .

وجوابه رحمه الله أن المعنى الذي وردت فيه هو منعهم من الحج والعمرة ، ففي الصحيح أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر ، رضي الله عنه ، في تلك الحجة في مؤذنين[308] بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان[309] ، الحديث . أما قربان البيت ، بمعنى الدخول ، فشيء آخر ، إلا أن علة المنع تسحب ذيلها على كل قربان .

أقول . ويرجح مذهبه رحمه الله أن فيه إعمال الدليلين معا ، وقد قال ابن السبكي : «وإن العمل بالمتعارضين ، ولو من وجه أولى ، من إلغاء أحدهما ، ولو سنة قابلها كتاب ، ولا يقدم الكتاب على السنة ، ولا السنة عليه ، خلافا لزاعميهما»[310] به . وسبق قول ابن عاصم : والنسخ لا تقل به إلخ ، مع ما فيه من حمل الآية الشريفة على ما نادى به الصديق لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميرا على الحج سنة نزولها لتنفيذها ، ونجاستهم المعنوية لا تقتضي منعا ، فهؤلاء الشافعية يقولون بجوازه بإذن المسلم ، والقول بالإذن للكتابي خاصة ، ليس ببدع في أصول الدين فإن موضوع الكلام في المشركين ، وقد أجاز الشارع نكاح الكتابية ومضاجعتها إلى غير ذلك ، فتدبر ، والله أعلم .

الحكمة في كون الصلاة مشتملة على الأقوال والأفعال من ركوع وسجود وقيام وبعبارة على هذه الكيفية المعلومة

قال الشيخ صالح المالقي ما معناه : إن الله تعالى أمر العباد بعبادته والخضوع إليه على قدر ما يطيقون ، وتحتمل عقولهم ومعارفهم ، فإن الناس يعظمون ملوكهم بأنواع مختلفة من التعظيم ، بعضها بالأقوال كألفاظ التحية المشعرة بالإجلال ، وبعضها

---

(308) في الأصل . المؤذنين .

(309) صحيح البخاري 1709 : 4 .

(310) جمع الجوامع ، ص : 188- 189 ، ضمن كتاب : مجموع مهمات المتون .

بالأفعال ، كالسجود بين أيديهم ، كما/ حكى سبحانه وتعالى عن شريعة سيدنا يعقوب عليه السلام ؛ ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا﴾[311] ، وكالقيام أمامهم بالخضوع والخشوع ، إلى غير ذلك ، فجاءت الصلاة جامعة لذلك كله ، محيطة به ، مع اقتران كل فعل منها بكلمة التكبير للإيذان بأن ملك الملوك أعلى من ذلك وأجل ، ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[312] ، فكأن المصلي يقول هذا أقصى ما في وسعي من الخضوع لك بين يديك ، مع اعترافي بأنك أعظم من ذلك وأكبره .

السر في كون الحالف بالله تعالى على خلاف ما يعتقده قد يعامله الله بالصفح، ولا تظهر فيه آثار تلك اليمين، بخلاف الحالف بالله في حق آدمي فإنه غالبا يصاب

لما جرت المذاكرة في هذا الموضوع ، كتب فيه الشيخ صالح ما نصه :

الحمد لله :

سئل بعض الفضلاء عن السر في كون الحالف بالله تعالى على خلاف ما يعتقد قد يعامله الله بالصفح ، ولا تظهر فيه آثار تلك اليمين بخلاف الحالف بالله في حق آدمي ، فإنه غالبا ما تصيبه مصائب ، إما في ماله ، أو ولده ، أو بدنه ، أو في دينه ، والعياذ بالله .

وطلب في بيان السر في ذلك ، زيادة على ما هو ظاهر من كونه في الثاني حق مخلوق ، وفي الأول حق لله ، والله أكرم من أن يؤاخذ عبده بقوله في الحديث : وذنب لا يعبأ به الله إلخ .

أجاب بما حاصله : إن التنازع إذا يقع بين البشر ، فلا بد م رفعه من حاكم ينصف المظلوم ممن ظلم ، والحاكم إنما هو الله تعالى ، ﴿إن الحكم إلا لله﴾[313] ، غير أنه لم يكن للبشر أن يتلقى الحكم من الله مباشرة ، فقد أقام بينهم قاضيا منهم

(311) يوسف . 100 .

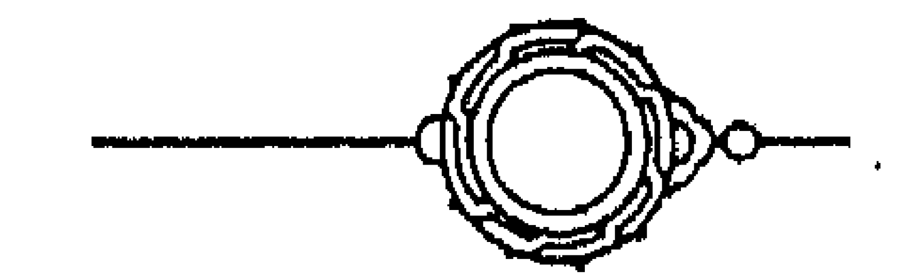
(312) الأنعام : 91 ، الحج : 74 ، الزمر : 67 .

(313) الأنعام . 57 ، يوسف . 40 .

يحكم بينهم بحكم الله ، فالحاكم في الحقيقة هو الله تعالى ، وذلك نائبه ، وقد رسم له طريقة في الحكم لا يتخطاها بحال ، وهو الحكم بما يتبين له من الحق لأمر/ الخصمين بالبينة ، أي ما يبين حقيقة ما يدعيه ، وكذا يقال في المدعى عليه إذا ادعى بما ينافي دعوى المدعي ، فعليه أيضا البيان ، وينقلب مدعيا ، ثم إذا عجز هذا المدعي عن بينته فإن الحاكم من البشر تقف مقدرته ، ويعترف بالعجز ، فكأن لسان حاله يقول لمن أنابه : إني عجزت عن هاته القضية ، وإني أرجع الأمر إليك لتقضي فيها بنفسك ، إذ هنا تقف طاقة البشر .

إذ ذاك يتولى الحق تعالى الفصل بين الخصمين في تلك القضية ، ويكتفي من المطلوب المنكر الحلف بذكر اسمه تعالى على حقيقة ما يدعيه وكذب خصمه ، فتقتطع بتلك اليمين حقه ، فإذا كانت اليمين فاجرة ووقعت على هاته الصفة ، أي عند التقاضي لدى من لا يخفى[314] عليه شيء ، فالله تعالى يوشك أن يأخذه .

هذا هو السر في تعجيل الوعيد للحالف في امتناع ، بخلاف المتطوع باليمين ، ومنه يظهر قول من جعل اليمين على نية الحالف في خصوص ما كانت في حق ، وفي المتطوع بها تكون على نية المحلف ، وإن كان المشهور أنها على نية المحلف مطلقا ، وحرر في 4 رجب عام 1340 .



حكم التطيب بالعطور الإفرنجية

كنت رأيت فتوى بحرمة التطيب بها للعلامة المفضال ، خادم الأعتاب المحمدية ، الشيخ سيدي يوسف النبهاني[315] ، نظرا لما احتوت عليه من الكحول ، وهو نجس لإسكاره . ثم وقفت بمجلة البدر الغراء على فتوى بطهارتها وإباحة استعمالها ، وإليك

---

(314) في الأصل . تخفى .

(315) يوسف النبهاني : يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني ، قاض أديب ، ولد بفلسطين ، عمل بالصحافة بالأستانة ، جاور بالمدينة المنورة ، له عدة مؤلفات ذات منحى حديثي سيري ، (- 1932م) : الأعلام 212 : 8 . دليل مؤرخ المغرب الأقصى 290 : 2 .

نص السؤال والجواب منها .

كثر استعمال الكُلونيا عند الناس ، وشوهد نفعها من حيث قتل الجراثيم التي بالشعر ، إلا أن بعض المتفقهة قام ينكر على مستعملها إنكارا شديدا ، ويراها من المائعات النجسة ، وعليه أرجو منكم توضيح هاته المسألة ، أي/ من قبيل النجاسات أو الطاهرات؟ .

ودودكم حميدة بن الحاج محمد المصري .

ـالجواب:

هذه الأعطار من المركبات الحديثة التي لم يرد نص في خصوصها ، لكنها لا تخرج عن دائرة الجماد الذي لا يسكر ، وحكمه الطهارة ولو كان مفسدا أو مرقدا ، كالحشيشة والبنج والأفيون ، على ما أفتى به البرزلي(316) حاكيا الإجماع عليه ، فتكون طاهرة العين ، لا سيما وهي طيبة الرائحة ، بعيدة عن القذارة التي هي أصل النجاسة ، هذا مجمل ما ترشد إليه القواعد في شأنها .

وإذا أردت زيادة الإيضاح فلا محيص عن النظر في العناصر التي تتركب منها هذه الأعطار ، وتبين عوارضها ، والكشف عما يرتبط بها من الأحكام ، أما أصولها فهي أزهار طيبة العرف يصطفى منها الجزء العطر بطريقة كيماوية ، ويطرح ما لا دخل له في طيب الرائحة ، فتختصر الكمية الكبيرة من الأزهار في سائل قليل تفعل القطرات منه في التطييب ما لا تفعله الباقة من الأزهار ، وهي من هذه الجهة كغيرها من المقطرات الزهرية ، كماء الورد والياسمين ، لا تشوبها نجاسة ، ولا يرهقها منع .

نعم إن هذه الأعطار يمازجها الكحول السبيريتو(317) ، وهو سائل عديم اللون كثير الحركة ، شديد القابلية للالتهاب ، وبه كانت هذه الأعطار سريعة الجفاف ، ولا يحملنا ذلك على الحكم بنجاستها لتحقق وجود الكحول في الأعطار المتعارفة ، كعطر

---

(316) البرزلي . أبو القاسم بن أحمد البلوي القيرواني ، أخذ عن ابن مرزوق وابن عرفة ، توفي سنة 842 : شجرة النور الزكية ، ص : 245 .

(317) تعني السبريطو في العامية المغربية نوعا من الكحول أو الوقود : رحلة الصفار ، ص : هـ/156 .

الورد ، بل وفي الكثير من المطعومات المباحة ،قطعا ، كالخمير واللبن الحامض ، والحليب المخمر الرائب ، والزيت ، حسبما أثبتته التحليلات الكيماوية ، ولا يستقيم أبدا الفارق بينهما بقلة الكحول في هذه المباحات كثرته في الأعطار ، لأنه لا تأثير له في تغير الحكم ، فلو كان وجود الكحول في المائعات مما يقضي بنجاستها ، لكان قليله ككثيره ، أما تحريم الخمر فلإسكارها كما يدل عليه ظهور المناسبة مع ما يعضدها من / دوران الحكم معه ، وجودا و عدما ، ووجود الكحول في الخمر وصف طردي لا اعتبار له في حرمتها و نجاستها ، ولو ادعى ذلك لما استقام إذ أقل ما يقضى عليه بالبطلان لزوم حرمة ونجاسة المقطرات الزهرية وعطرها ، واللبن الحامض ، إلى غير ذلك ، واللازم منتف إجماعا ، ولهذه الاعتبارات لم يثبت الفقهاء صفة النجاسة لكل ما يحضر تناوله لعارض غير الإسكار ، وقد أحكم الشيخ خليل في التوضيح الفرق بن المسكر والمفسد والمخدر ، وقال : «وينبغي على الإسكار ثلاثة أحكام دون الأخيرين : الحد والنجاسة وتحريم القليل»[318] . فإذا تدبرت ذلك استوثقت من أنه لا تلازم بين سائل الكحول ما لم ينشأ عن استعماله إسكار فينجس ، فإذا زال الإسكار ترتفع عنه النجاسة ، كالخمر إذا تخلل . وبين أن هذه الأعطار لا تسكر كما هو الحال في غيرها من الأعطار المتعارفة و إن نشأت عن شربها عوارض أخر ربما أفضت إلى الهلاك ، وبهذا ظهر أنها طاهرة لا حرج في استعمالها ، وبذلك أفتى جماعة من المتأخرين المحققين .

استطراد.

فائدة مهمة في حكم التداوي بالخمر وغيره من الأدوية المتنجسة[319] :

قد ظفرت في هذه المسألة بفتوى على مذاهب الأئمة الأربعة للشيخ سيدي عبد

---

(318) مواهب الجليل لشرح أبي الضياء سيدي خليل 90 : 1 .

(319) عن حكم الانتفاع بالخمر للتداوي ورأي المذاهب الإسلامية المختلفة في ذلك أنظر : الموسوعة الفقهية ، الأشربة . ص : 20 وما بعدها .

القادر توفيق الشلبي الطرابلسي[320] المدرس الحنفي في المسجد الحرام النبوي ، ووافق عليها من أهل العلم السيد أحمد البرزنجي[321] مفتي الشافعية بالمدينة المنورة ، وعبد الله النابلسي[322] المدرس الحنبلي بالحرم النبوي ، ومحمد عبد العزيز التونسي ، ومحمد عبد الباقي الحنفي المدرس بالحرم النبوي ، وقد رأيت أن أوردها بنصها وفصها لجليل فائدتها و مسيس الحاجة إليها قال :

ـ العقد الأول في مذهب أبي حنيفة النعمان عليه من الله تعالى الرضوان :

اعلم أن للتداوي بالمحرم حالتين ؛ حالة يكون زوالا لضرر وحصول الشفاء به متيقنا . وحالة يكون مظنونا .

ففي الحالة الأولى يجوز التداوي به اتفاقا/ كما في رد المختار[323] ، وهذا إذا لم يوجد غيره من المباحات القائمة مقامه حتى يكون مضطرا إليه ، فيدخل في عموم قوله تعالى : ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾[324] ، و إلا فلا يجوز .

وأما في الحالة الثانية فقولان ؛ الأول أنه يجوز إذا لم يوجد غيره من المباحات القائمة مقامه ، لحديث العرنيين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رخص لهم بشرب أبوال الإبل[325] مع كونها نجسة محرمة الاستعمال ، وحصول الشفاء بها مظنون . والثاني لا يجوز ، وهو ظاهر الرواية لما رواه البخاري وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني

---

(320) عبد القادر بن توفيق الشلبي . رئيس الأحناف بالمدينة المنورة ، ولد بطرابلس الشام وانتقل إلى المدينة ، مؤلف شاعر (ـ 1950م) . الأعلام 38 : 4 .

(321) أحمد البرزنجي . أحمدبن إسماعيل بن زين العابدين المدني ، شهاب الدين البرزنجي ، أديب من أعيان المدينة المنورة ، كان من مدرسي الحرم بالمدينة وتولى إفتاء الشافعية فيها ، توفي سنة 1919 : الأعلام 99 : 1 .

(322) عبد الله النابلسي . عبد الله القدومي بن عودة النابلسي ، فقيه محدث متكلم ، توفي بنابلس سنة 1912 : معجم المؤلفين 98 : 6- 99 .

(323) كتاب الإيمان من الجزء الثالث والخامس من رد المختار على متن تنوير الأبصار ، ص : 292 .

(324) الأنعام . 119 .

(325) صحيح البخاري 92 : 1 .

بسند صحيح عن ابن مسعود ، رضي لله تعالى عنهما ، إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم[326] . ولما رواه أبو يعلى ، وصححه ابن حبان ، من حديث أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت : اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يغلي ، فقال : ما هذا؟ . فأخبرته ، فقال : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم[327] . كما في القول الأتم عن فتح الباري ، ولما رواه أبو داوود ، وسكت عليه ، عن أبي الدرداء ، رضي الله تعالى عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، إن الله أنزل الداء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بحرام[328] . ولما أخرجه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولا أعرف له علة ، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عنه : استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه[329] .

فهذه الأحاديث عامة توجب المنع من التداوي بجميع المحرمات ، ولم يخص منها المضطر إليه لأنه ساقط الحرمة لقوله تعالى . ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾[330] ، فإنه استثناء من الحرمة . كذا في القنوي عن التوضيح ، فلا يكون داخلا في عمومها حتى يخص منها .

وأما حديث العرنيين فمحمول أنه عرف صلى الله عليه وسلم شفاءهم به دون غيره وحيا ، فلا دليل فيه على المدعي ، وأيضا فهو مبيح ، والأحاديث المتقدمة محرمة ، والقاعدة أن المبيح والمحرم إذا اجتمعا يقدم المحرم بأن يجعل آخرا ناسخا للمبيح ، لأن قبل البعثة/ كان الأصل الإباحة ، والمبيح ورد لإبقائه ، ثم المحرم نسخه ، ولو عكس لتكرر النسخ ، وهو لا يثبت بالشك ، كذا في منافع الدقائق[331] ، فيكون

---

(326) صحيح البخاري 2129 : 5 .

(327) مسند أبي يعلى 402 : 12 .

(328) فتح الباري 135 : 10 .

(329) تلخيص الحبير 106 : 1 .

(330) الأنعام . 119 .

(331) يقصد كتاب : منافع الدقائق في شرح مجمع الحقائق لأبي سعيد الخادمي . معجم المؤلفين 301 : 11 .

منسوخا بالأدلة المحرمة ، ولو سلمنا عدم نسخه وصحة الاستدلال به ، لا نسلم قياس غير بول الإبل عليه ، لأن من شرائط صحة القياس أن لا يكون الأصل مختصا بحكمه بنص دال على الاختصاص كما اختص خزيمة[332] ، رضي الله تعالى عنه ، بقبول شهادته وحده ، بقوله صلى الله عليه وسلم : من شهد له خزيمة فحسبه[333] . وعرف هذا الاختصاص بقوله تعالى : ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾[334] ، فإنه لما كان نافيا لشهادة الفرد مطلقا اقتضى انفراد خزيمة بقبول شهادته وحده ، كرامة له ، فلا يجوز إلحاق غيره به مطلقا لئلا تبطل الخصوصية ، وهنا الأصل ، وهو بول الإبل مختص بحل التداوي به بحديث العرنيين ، لأنه واقعة حال ولا عموم لها . وعرف هذا الاختصاص بما تقدم من الأحاديث فإنها عامة توجب المنع من التداوي بالمحرم مطلقا ، فحيث ثبت بحديث العرنيين حل التداوي ببول الإبل كان مختصا به ، فلا يجوز قياس غيره عليه ، لئلا يكون القياس مبطلا للنص ، فافهم .

وعلى تسليم كونه غير مختص فيجوز القياس عليه ، لا نسلم قياس قطعي الحرمة عليه لأن من شرائط صحة القياس أيضا كون الحكم الأصلي معدي إلى فرع نظير ذلك الأصل في الوصف الذي تعلق الحكم به ، فلذا قالوا لا يجوز تعدية حكم الناسي في بقاء صومه إلى الخاطئ والمكره ، لأن عذرهما دون عذر الناسي ، فيكون تعديه إلى ما ليس هو بنظير الأصل ، وهنا لو لحقنا المحرم القطعي ببول الإبل في حل شربه للتداوي للزم منه تعدية الحكم إلى ما ليس هو بنظير الأصل ، وهو لا يجوز ، إذ حرمة بول الإبل دون حرمة المحرم القطعي ، بخلاف بول ما يؤكل لحمه ، فإنه يجوز إلحاقه به ، كما قال أبو يوسف ، رضي الله/ تعالى عنه ، وذلك لأن الوصف الذي تعلق به الحكم هو حصول الشفاء مع خفة الحرمة ، فيكون معدي إلى فرع هو نظير ذلك الأصل ، وهو جائز ، فإذا أحاطت بجيد فكرك قلائد ما حررناه ، تبين لك أن

(332) خزيمة . خزيمة بن ثابت ، أبو عمارة الأنصاري ، ذو الشهادتين ، شهد أحدا وما بعدها ، استشهد مع علي يوم صفين سنة سبع وثلاثين . أنظر : سير أعلام النبلاء 485 : 2 ، الإصابة 278 : 2 .

(333) سنن البيهقي الكبرى 146 : 10 ، فتح الباري 519 : 8 .

(334) البقرة . 182 .

الدليل موجب للمنع من التداوي بالمحرم ، كما هو ظاهر الرواية . والمنقول في المتون الموضوعة لنقل المرضى في المذهب دون الأقوال الواهية والروايات الضعيفة ، فالأدوية إذا كان كلها ، أو غالبها ، متنجسا بخمر أو نحوه ، ولو مستهلكا ، لا يجوز استعماله للعالم به بنفسه ، أو بإخبار ثقة عدل ، إلا بشرطين ؛

الأول أن يتيقن أو يغلب على ظنه بمعرفته ، أو بقول طبيب عدل حاذق ، الشفاء فيه ، وهذا هو المراد من العلم في قول صاحب النهاية والتجنيس وغيرها ، إذا علم الشفاء لا الظن ، كما توهم ، حتى يكون ما اعتمدوه مخالفا لظاهر الرواية وصريح الأدلة ، وموافقا للقول الضعيف بدليل تنظيرهم حل ذلك بحل أكل الميتة ، ولا يخفى أنه لا يحل أكلها إلا لضرورة ، وهي تيقن الضرر أو غلبة الظن بحصوله ، فافهم هذا المقام فإنه مزلة الأقدام .

والثاني أن لا يجد غيره مما يقوم مقامه من الطاهرات حقيقة بأن يكون معدوما ، أو حكما بأن يكون موجودا ولكنه غير قادر على استعماله لعجزه عن الوصول إليه ، أو لعدم معرفته القدر النافع فيه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

العقد الثاني في مذهب الإمام مالك رضي الله تعالى عنه :

قال مولانا العلامة عبد الباقي[335] : وجاز شربها ؛ أي الخمر ، للإكراه لا لدواء ، فلا يجوز ، ولو فعله لخوف الموت . قال التتائي في شرحه على الإرشاد : قال ابن العربي[336] : تردد علماؤنا في دواء فيه خمر ، فالصحيح المنع و الحد . وهذا إذا أسكر بالفعل وإلالم يحد . ثم ظاهر المصنف حرمة المخلوط بالدواء ، سواء استهلك فيه أو طبخ أم لا ، ولو طلاء[337] ، وينبغي أن يجوز إن خاف الموت ، انتهى ملخصا ، وأقره عليه محشوه .

وفي رسالة ابن أبي زيد القيرواني : ولا يجوز أن / «يتعالج بالخمر (في باطن

---

(335) حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل ، 161 : 8 .

(336) أنظر : أحكام القرآن 152 : 1 .

(337) الطلاء . هو المطبوخ من ماء العنب إذا ذهب ؛ أي تبخر ثلثاه وبقي ثلثه ، وصار كثيره مسكرا . الموسوعة الفقهية ، ص : 11 .

الخمر وظاهره)[338] ، ولا بالنجاسة ، ولا بما فيه ميتة ، ولا بشيء مما حرمه الله [سبحانه] وتعالى»[339] لعموم النهي انتهى . موضحا ، وفي الدردير على أقرب المسالك : «ولا يجوز استعمال الخمر لدواء ، ولو لخوف[340] الموت»[341] ؛ لأنه لا بشفاء فيه ولا لعطش ، بل لحرارته يزيد ، ولو طلاء يزيد ، ولو طلاء في ظاهر الجسد .

وفي شرح العلامة عليش على خليل[342] : ولا يجوز المسكر لدواء إن كان بأكل أو شرب ، ولو كان طلاء على ظاهر الجسد على المشهور ، وأما الدواء الذي فيه الخمر ، فقال ابن العربي[343] : تردد فيه علماؤنا ، والصحيح أنه لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم : إنها ليست بدواء ، ولكنها داء[344] ، انتهى . ونحوه في الخرشي[345] والدردير على خليل ، وفي المجموع[346] و شرحه : وجاز ، أي انتفت حرمته ، أي الخمر لإكراه وغصة على المعتمد لإدواء ولو طلاء ، انتهى .

والمراد بالخمر عنده ، على ما في رسالة ابن أبي زيد ، كل ما خامر العقل فأسكر من كل شراب[347] ، ويشهد له ما رواه مسلم : كل مسكر خمر وكل خمر حرام[348] .

---

(338) زيادة من الأصل .

(339) الرسالة في فقه الإمام مالك ، ص : 120 .

(340) في الأصل . خاف .

(341) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 354 : 4 .

(342) أنظر . تقريرات للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عليش على هامش حاشية الدسوقي على الشرح الكبير . 354 : 4 .

(343) أحكام القرآن 152 : 1 .

(344) سنن البيهقي الكبرى 4 : 10 .

(345) الخرشي على مختصر سيدي خليل 109 : 8 .

(346) أنظر : المجوع 51 : 9 .

(347) الرسالة في فقه الإمام مالك ، ص : 111 .

(348) صحيح مسلم 1588 : 3 .

فإذا استنارت أفكارك بأنوار هذه النصوص الشريفة ، اهتديت إلى أن التداوي بالخمر شربا لا يجوز عند الإمام مالك ، رضي الله تعالى عنه ، ولو مستهكا بدواء ، بطبخ أو غيره ، على الصحيح ، ولو خاف على نفسه الموت . وأما طلاء فقولان ؛ شهر في المختصر المنع[349] ، وذلك إذا لم يخف الهلاك على نفسه ، على ما استظهره العلامة عبد الباقي[350] وأقره عليه من بعده ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

- العقد الثالث في مذهب الإمام الشافعي رضي اله تعالى عنه :

قال في التحفة[351] : والأصح تحريمها ، أي الخمر ، صرفا لدواء المكلف أو صبي ، أو مجنون ، لخبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن سأله أن يصنعها للدواء أنه ليس بدواء ، ولكنه داء[352] . وخبر أن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها[353] ، وما دل عليه القرآن أن فيه منافع[354] ، إنما هو قبل تحريمها ، أما مستهلكة مع دواء آخر ، فيجوز التداوي بها كصرف بقية النجاسات إن عرف أو/ أخبره عدل طب بنفعها وتعيينها بأن لا يغنى عنها طاهر .

وفي التحرير[355] : فالمسكر من خمر ونحوه حرام تناوله ، وإن قل أو شرب بالتداوي . وفي منهج الطلاب[356] : كل شراب أسكر كثيره ، من خمر أو غيره ،

---

(349) المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، ص : 213 .

(350) العلامة عبد الباقي . المقصود به الزرقاني في شرحه على خليل .

(351) تحفة الفقهاء 489 : 3 (نقلا عن الموسوعة الفقهية) .

(352) سنن البيهقي الكبرى 4 : 10 .

(353) سنن أبي يعلى 402 : 12 .

(354) إشارة إلى قوله تعالى : ؟ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون؟ ، البقرة : 219 .

(355) التحرير 24 : 7 .

(356) أنظر : الموسوعة الفقهية ، الأشربة ، ص : 20 .

حرم تناوله ، وإن قل ، ولم يسكر ، الآية : ﴿إنما الخمر﴾[357] ، ولخبر الصحيحين : كل شراب أسكر فهو حرام[358] ، وخبر مسلم : كل مسكر خمر وكل خمر حرام[359] ، ولو كان تناوله لتداو أو عطش ، وإن لم يجد غيره لعموم النهي عنه .

وفي المغني[360] : ومن غص بلقمة أساغها بخمر إن لم يجد غيرها ، والأصح تحريمها في دواء وعطش ، أما تحريمها فلأنه ، صلى الله عليه وسلم ، لما سئل عن التداوي بها قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء[361] .

وأما تحريمها للعطش فلأنها لا تزيله ، بل تزيده ، لأن طبعها حار يابس ، ومحله إذا لم ينته الأمر به إلى الهلاك ، و إلا فيجب تناوله كتناول الميتة المضطر ، كما نقله الإمام عن إجماع الأصحاب .

والثاني : يجوز التداوي بها ، أي بالقدر الذي لا يسكر كباقي النجاسات ، ومحل الخلاف في التداوي بها بصرفها ، أما الترياق المعجون بها ونحوه مما لا تستهلك فيه ، فيجوز التداوي به عند فقد ما يقوم مقامه من الطاهرات ، كالتداوي بنجس ؛ كلحم الميتة وبول ، ولو لتعجيل الشفاء ، بشرط إخبار طبيب مسلم عدل بذلك ، أو معرفته للتداوي به ، انتهى ، ملخصا .

قال العلامة الباجوري في حاشيته على ابن قاسم : ويحرم التداوي بصرف الخمر ، لأنه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن التداوي قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء[362] . وعليه حديث : لن يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها[363] ، ولكن لا حد فيه للشبهة ، وأما التداوي فيما استهلك فيه ، كالترياق الكبير ونحوه ، فيجوز إذا

---

(357) المائدة . 90 .

(358) صحيح البخاري 95 : 1 ، صحيح مسلم 1585 : 3 .

(359) صحيح مسلم 1588 : 3 .

(360) المغني 308 : 8 .

(361) سنن البيهقي الكبرى 4 : 10 .

(362) سنن البيهقي الكبرى 4 : 10 .

(363) مسند أبي يعلى 402 : 12 .

لم يجد ما يقوم مقامه من الطاهرات ، كالتداوي بالنجس غير الخمر ؛ كالبول والميتة ، بالشرط المذكور ، انتهى .

فإذا أدرت نظرك في حدائق هذه النصوص الشرعية أنتج لك شكلها الكامل أن التداوي بصرف الخمر ونحوه/ من الأشربة المسكرة لا يجوز على الأصح من مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، وأما إذا كان مخلوطا بدواء ونحوه ، فيجوز بثلاثة شروط ؛ الأول أن يكون مستهلكا . الثاني أن لا يجد ما يقوم مقامه من الطاهرات . الثالث أن يعرف أو يخبر طبيب مسلم عدل بنفعها ، كما يجوز التداوي بصرف بقية النجاسات ، كالبول والميتة ، بالشرطين الأخيرين ، والله سبحانه وتعالى العليم الخبير .

ـ العقد الرابع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه :

قال في الإقناع[364] : ويحرم تداو بمحرم أكلا وشربا ، وكذا يحرم التداوي بصوت ملهاة وغيره ، كسماع الغناء المحرم ، لعموم قوله عليه السلام : ولا تداووا بالحرام[365] .

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أنه كتب إلى خالد بن الوليد ، رضي الله عنهما ، بلغني أنك تدلك بالخمر ، وإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنها ، وقد حرم مس الخمر كما حرم شربها ، فلا تمسوها أجسادكم فإنها رجس ، أخرجه ابن عساكر عن أبي عثمان والربيع عن ابن حارثة عن عمر رضي الله عنه .

وفي المنتهى[366] وشرحه : ويحرم تداو بمحرم ، أي من مأكول وغيره ، ولو بصوت ملهاة ، لعموم قوله : ولا تداووا بحرام[367] ، ويدخل فيه ترياق فيه لحوم حيات أو خمر ، ويجوز التداوي ببول الإبل خاصة ، نص عليه الإمام أحمد رحمه الله للخبر

---

(364) أنظر : الإقناع لطالب الانتفاع 312 : 4 .

(365) فتح الباري 135 : 10 .

(366) شرح منتهى الإرادات 358 : 3 .

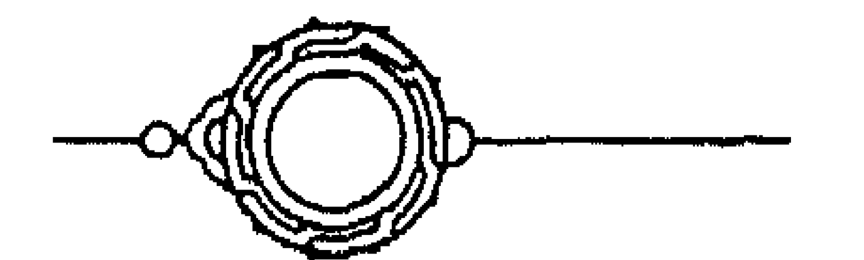
(367) فتح الباري 135 : 10 .

الصحيح .

وفي فروع المقدسي(368) : ويحرم التداوي بمحرم في المسكر مأكول وغيره من صوت ملهاة وغيره ، انتهى .

فالأدوية المتنجسة لا يجوز عند الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه استعمالها لا شربا ، ولا طلاء ، لعموم النهي ، والله تعالى أعلم .

بكم يتقدم الوقت في باريز على الرباط

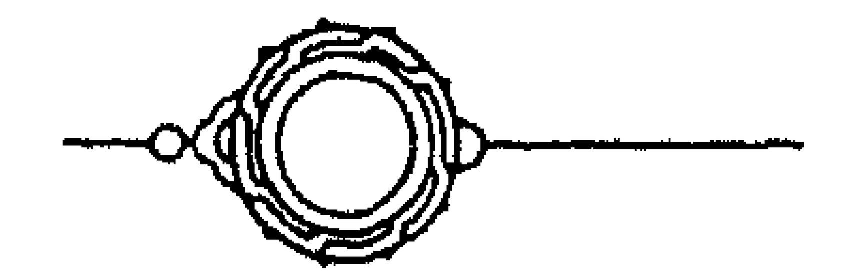


يجب أن تعرف أولا ضابط معرفة الساعة في غير بلدك ، وهو أن تبحث عن فضل الطولين الذي بينهما ، وبعبارة عدد أدراج/ الطول التي بينهما من التقويمات الفلكية ، أو الخرائط الأرضية وتضربه في أربعة ، فما خرج فهو عدد الدقائق التي يسبق بها الوقت إن كانت البلدة المطلوبة شرقا من بلدك ، أو يتأخر بها إذا كانت غربا منها .

ووجه هذا العمل أن الكرة الأرضية تنقسم على خط الاستواء إلى ثلاثمائة وستين درجة ، والشمس في حركتها الظاهرية تقطع هذه المسافة في ظرف أربع وعشرين ساعة ، فيكون ما تقطعه في الساعة الواحدة 15 درجة ، وتقطع الدرجة في أربع دقائق ، لأنك إذا قسمت : 360 على : 24 خرج 15 . وإذا صرفت الساعات إلى الدقائق وقسمتها على 360 ، خرج لكل درجة أربع دقائق .

ولتطبيق هذا العمل على باريز من الرباط بحثنا عن عدد أدراج الطول التي بينهما ، فألفايناها ثمانية أدراج وتسع دقائق ، ضربنا ذلك في أربعة فخرج 33 دقيقة ، وباريز شرقية من الرباط ، فيتقدم الوقت فيها بمقدار ذلك .

مسألة تناسب المقام :



سئلت عن التونسي يقدم إلى بلاد المغرب وقد سبق ظهور هلال رمضان عندهم

(368) كتاب الفروع 99 : 6 .

بيوم مثلا ، وعن عكسه ، وهو المغربي يذهب إلى تونس ، والحالة ما ذكر ، فما حكم الأول إذا أتى ثلاثين ولم ير الهلال؟ . وما حكم الثاني إذا أدركه الهلال قبل تسعة وعشرين؟ .

فأجبت بما نصه : أما المغربي يذهب إلى تونس ، فالواجب عليه إذا أهل هلال العيد أن يفطر ، لأن صوم يوم العيد حرام ، وليقض يوما مكان اليوم الأول الذي سبقوه به ، لأنه صار حينئذ من أهل هذا القطر ، فشمله حكمه ، وتناوله خطابه .

قال المسناوي نقلا عن القرافي[369] ما نصه : إن الأوقات تختلف بحسب الأقطار ، فما من زوال إلا وهو فجر وعصر ومغرب ونصف ليل للآخرين ، بل كلما تحركت الشمس درجة كانت فجرا وطلوع شمس وزوالا وغروبا ونصف ليل ونهار وسائر أسماء/ الزمان تنسب إليها بحسب أقطار مختلفة ، وخاطب الله كل قوم بما يتحققون في قطرهم لا في قطر غيرهم ، فلا يخاط أحد بغير زوال بلده ولا بفجره ، وهذا مجمع عليه ، وكذا الهلال مطالعه مختلفة ؛ فيظهر في المغرب ولا يظهر في المشرق إلى الليلة الثانية لاحتباسه في الشعاع ، وهذا معلوم بالضرورة . ومقتضى القاعدة أن يخاطب كل أحد بهلال قطره ، ولا يلزمه حكم غيره ، ولو ثبت بالطرق القاطعة ، انتهى .

وفي صحيح مسلم عن كريب ، أن أم الفضل بنت الحرث بعثته إلى معاوية بالشام ، قال : فقدمت الشام فقضيت حاجتها ، واستهل رمضان وأنا بالشام ، فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر ، فسألني عبد الله بن عباس ، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيت الهلال؟ . فقلت : رأيناه ليلة الجمعة . فقال : أنت رأيته؟ . فقلت : نعم ، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال . لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما أو نراه . قلت : أولا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ . فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[370] ، انتهى . وترجم عليه النووي وغيره من شروح مسلم ، باب . لكل بلد رؤيتهم .

---

(369) كتاب الفروق 12 : 1 .

(370) صحيح مسلم 765 : 2 .

وأما التونسي يقدم إلى المغرب وقد سبق الهلال بقطره ، فإنه يفطر إذا أتم ثلاثين على حسابه ، لأن الله تعالى يقول : فمن شهد منكم الشهر فليصمه؟[371] ، أي حضر لشهوده ، والذمة عامرة بشهر فقط ، والشهر تسعة وعشرون أو ثلاثون كما في الحديث[372] ، فإذا أتم الثلاثين أفطر وكان بمثابة من غم عليه الهلال ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : فإن غم عليكم فاقدروا له[373] ، وفي رواية : فأكملوا العدة ثلاثين[374] . نعم يكون فطره بالنية فقط ، كالمنفرد برؤية هلال شوال ، ونظير هذه المسألة من انفرد برؤية هلال رمضان وصام كما هو الواجب عليه ، ثم صام الناس بعده بيوم ، فإذا أتم ثلاثين على حسابه وتقرير الهلال يغيم ، فإنه يفطر بالنية أيضا ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تمت

---

(371) سورة البقرة ، آية : 185 .

(372) صحيح مسلم 759 : 2 .

(373) صحيح مسلم 759 : 2 .

(374) صحيح مسلم 762 : 2 .

كشاف حضاري وفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

نص الحديث الشريف

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس المدن والبلدان والأماكن

فهرس الأمم والقبائل والشعوب

فهرس الكتب الواردة في المتن

فهرس الثورات والمعارك والحروب

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

-أبدع اليواقيت في تحرير المواقيت ، عبد السلام العلمي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم . د 8412 (ضمن مجموع) .

-إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، عبد الرحمن بن زيدان ، المطبعة الوطنية ، 1931 .

- أحاديث عن الأدب المغربي الحديث ، عبد الله كنون ، دار الثقافة ، البيضاء ، الطبعة الرابعة 1984 .

- أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى 1957 .

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، أحمد بن خالد الناصري ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، البيضاء .

-الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، دت .

-الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة 1970 .

-الإقناع لطالب الانتفاع ، الحجاوي المقدسي ، تحقيق : عبد اله بن عبد المحسن ،التركي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، اطبعة الثانية 1999 .

-بداية المجتهد ، أبو الوليد بن رشد ، دار الفكر ، بيروت .

- البداية والنهاية ، ابن كثير ، مطبعة المعارف ، بيروت ، دت .

- البرنس في باريز ، محمد المقداد الورتتاني ، المطبعة الرسمية العربية بتونس ، الطبعة الأولى ، 1914 .

-البهجة في شرح التحفة على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام لابن عاصم الأندلسي ، علي بن عبد السلام التسولي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية 1952 .

- اريخ الأمم والملوك ، ابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407 .

- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، عبد الرحمن علي الحجي ، دار العلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة 1997 .
-تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق . محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1952 .
-التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي .
-تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، رفاعة الطهطاوي ، ضمن الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ، تحقيق : محمد عمارة ، منشورات مؤسسة الدراسات العربية للدراسات والنشر ، 1973 .
-تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، 1971 .
-تلخيص الحبير ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة ، 1964 .
-جريدة السعادة ، أعداد مختلفة .
-حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل وبهامشه حاشية المدني على كنون ، دار الفكر ، بيروت ، 1978 .
-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير ، وبهامشه الشرح المذكور مع تقريرات للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عليش ، دار إحياء التراث العربي ، دت .
-حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جلال الدين السيوطي ، المطبعة الشرفية لصاحبها حسين شرف ، دت .
-الخرشي على مختصر سيدي خليل ، وبهامشه حاشية الشيخ علي العدوي ، دار الفكر ، دت .
-الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، جلال الدين السيوطي ، على هامش كتاب الفتاوى الحديثية لابن حجر ، مطبعة الجمالية ، مصر ، الطبعة الأولى 1910 .
-الدر المنثور بالعمل في الربع الدستور ، أبو عبد الله بن خليل بن يوسف المارديني ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم : ق 734 (ضمن مجموع) .

-دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري ، دار الكتاب ، البيضاء ، الطبعة الثانية 1965 .
-الدنيا في باريس 1900 ، أحمد زكي ،دم ، دت .
-ديوان البحتري ، مطبعة الجوائب ، 1300 .
-ديوان الصبابة ، ضمن كتاب تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، داود الأنطاكي ، دار حمد ومحيو ، الطبعة الأولى 1972 .
-ديوان الصبابة ،ملحق بكتاب تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، داود الأنطاكي ، دار حمد ومحيو ، 1972 .
-ديوان صفي الدين الحلي ، دار صادر ، 1990 .
-ديوان عبد المجيد الفاسي ، تحقيق : سعيد الفاضلي ، تقديم . عباس الفاسي ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1997 .
-الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية ، محمد الطاهر الفاسي ، تحقيق وتعليق : محمد الفاسي ، منشورات جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1967 .
- الرحلة الأوربية ، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، تحقيق وتقديم . سعيد الفاضلي(نسخة مرقونة قيد الطبع) .
-الرسالة في فقه الإمام مالك ، ابن أبي زيد القيرواني ، ضبطه وصححه : الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دت .
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
-السفر إلى المؤتمر ، أحمد زكي ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، الطبعة الأولى 1893 .
-سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، 1994 .
-سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : شعيب أرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1413 .
-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمد بن مخلوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

-شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى ، منصور بن يونس البهوتي ، دار الفكر ، دت .
-شرح منظومة في ربع الجيوب لعبد الرحمن الفاسي ، تأليف : محمد بن علي بن عمر بن علي الأغزاوي الفاسي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم : د 2148 (ضمن مجموع) .
-الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح ، عبد الله الجراري ، الطبعة الأولى 1979 .
-صحيح البخاري ، تحقيق . مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، الطبعة الثالثة 1987 .
-صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،دت .
-صدفة اللقاء مع الآخر ، حلة الصفار إلى فرنسا ، دراسة وتحقيق : سوزان ميلار ، عرب الدراسة وشارك في التحقيق : خالد بن الصغير ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1995 .
-طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، منشورات هجر للطباعة والنشر ، 1992 .
- فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379 .
- قطف الأنوار على روضة الأزهار ، عبد الرحمن بن عمار بن أحمد الجزولي البوعقيلي ، ابن المفتي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم : د 2248 .
-الكامل الوسيط ، يوسف محمد رضا ، مكتبة لبنان ، دت .
-كتاب الإيمان من الجزء الثالث والخامس من رد المختار على متن تنوير الأبصار للعلامة ابن عابدين ، وقف الإخلاص ، استانبول ، 1993 .
-كتاب الفروع ، شمس الدين المقدسي ، راجعه : عبد الستار أحمد فراج ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية 1967 .
-كتاب الفروق ، شهاب الدين القرافي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة

الأولى 1344 .
-كتاب اللوغرذمات ، كرنيليوس ؟ان ديك ، بيروت 1873 .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسين أحمد ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، 1946 .
-كشف الخفاء ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، تحقيق . أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1405 .
-لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي ، دار صادر ، بيروت ، دت .
-لمحة بصر على البلاد المقدسة ، تأليف . العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد السلام السائح ، ومعه مخطوط الاتصال بالرجال ، وهو ترجمة لحياة المؤلف بقلمه ، تحقيق وتقديم ودراسة . محمد قرقزان ، الرباط ، المغرب 1995 .
-المجموع شرح المهذب ، محي الدين بن شرف النووي ، مطبعة التضامن الأخوي ، دت .
-المختصر في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، خليل بن إسحاق ، طبع في مدينة باريز سنة 1883 .
-مجموع مهمات المتون ،دار الفكر ، دت .
-مسند أبي يعلى ، أبو يعلى التميمي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، 1984 .
-معجم المطبوعات المغربية ، إدريس بن الماحي ، تقديم . عبد الله كنون ، مطابع سلا .
-معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، طبعة الترقي ، دمشق ، 1958 .
-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي .
-المغني ، ابن قدامة المقدسي ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، دت .
-منهاج كشف الحجاب عن التوقيت بالقبلة والآلة وغرتم والحساب ، الحسن بن عبد الرحمن المشيشي المراكشي ، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ، رقم : د 1423 (ضمن مجموع) .

- مواهب الجليل لشرح أبي الضياء سيدي خليل ، تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب ، وبهامشه : التاج والإكليل لمختصر خليل لأبي عبد الله العبدري الشهير بالمواق ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى 1328 .
- موسوعة أعلام المغرب ، تنسيق وتحقيق : محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى 1976 .
- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، دت .
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية ، معلمة المدن والقبائل ، عبد العزيز بنعبد الله ، مطبعة منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط 1977 .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغرى بردى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مصر .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد المقري ، تحقيق . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 .
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، 1968 .

- Dictionnaire encyclopédique Hachette, 1980

-Napoléon, Eric Delmotte , Marabout, Alleur (Belgique), 1990

-Encyclopédia Universalis, France, 1997.

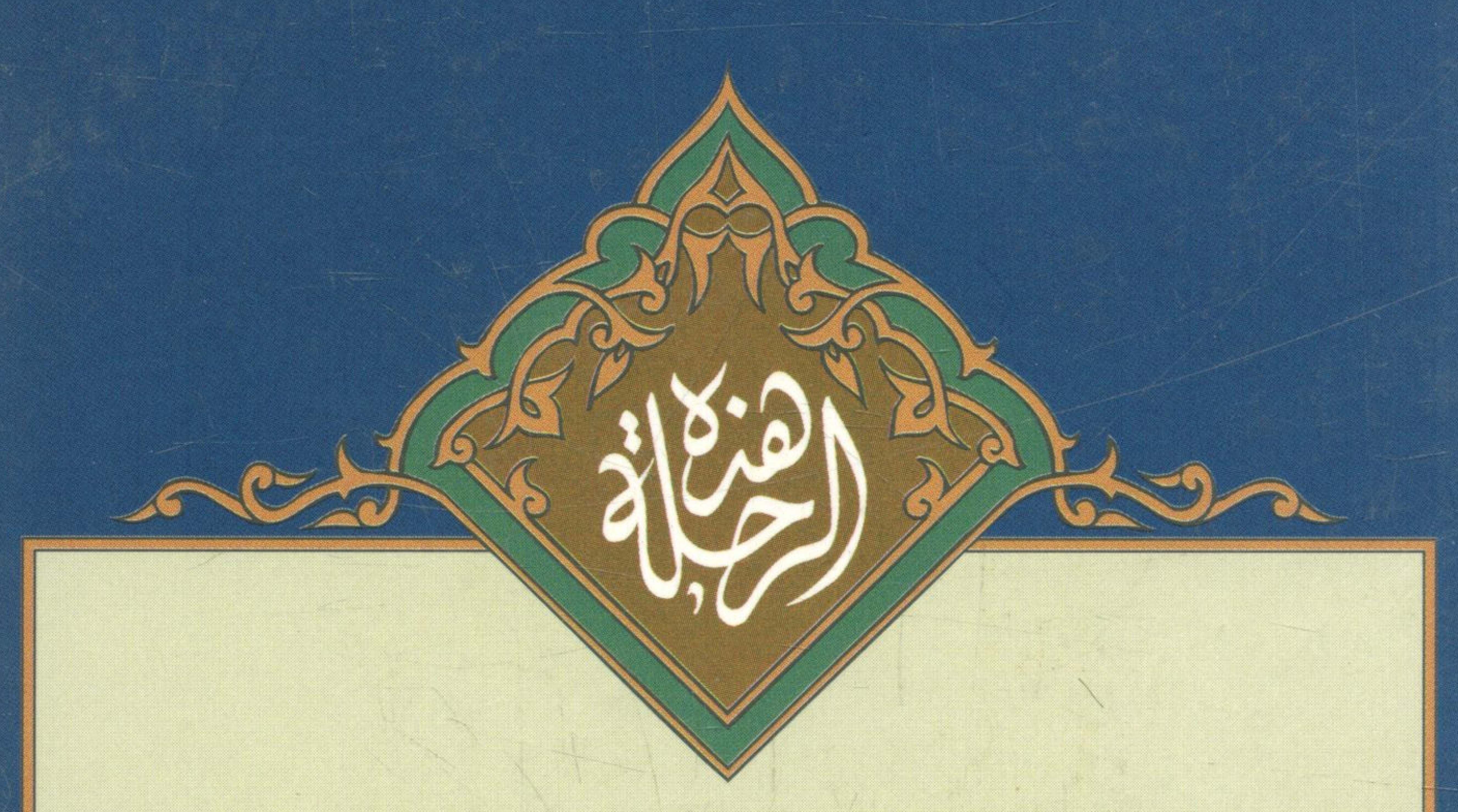
المحتويات

صدر ضمن سلسلة ارتياد الآفاق

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار 1185-1182	محمد بن جبير الأندلسي	علي أحمد كنعان
الذهب والعاصفة . . رحلة الياس الموصلي إلى أميركا ، أول رحلة شرقية إلى «العالم الجديد» 1683-1668	إلياس الموصلي	نوري الجرّاح
رحلتان إلى سوريا 1908-1920	الشيخ محمد رشيد رضا «صاحب المنار»	زهير أحمد ظاظا
رحلة الحبشة . . من الأستانة إلى أديس أبابا 1896	صادق باشا المؤيد العظم	نوري الجرّاح
الديوان النفيس في إيوان باريس أو «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»	رفاعة رافع الطهطاوي	علي أحمد كنعان
رحلة إلى أعالي النيل الأبيض 1839-1840	البكباشي سليم قبطان	نوري الجرّاح
رحلة إلى أوروبا 1912	جرجي زيدان	قاسم وهب
الرحلة الشامية 1910	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف 1929	شكيب ارسلان	أيمن حجازي
رحلة باريس 1867	فرنسيس فتح الله المرّاش	قاسم وهب
الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902	الحسن بن محمد الغسّال	د . عبدالرحيم موذن
رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691	محمد الغسّاني الأندلسي	نوري الجرّاح
خطرة الطيف . . رحلات في المغرب والأندلس 1347-1362	لسان الدين بن الخطيب	د . أحمد مختار العبادي
رحلة ابن خلدون 1352-1401	محمد بن تاويت الطنجي	نوري الجرّاح
رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة 921	أحمد بن فضلان	شاكر لعيبي

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
رحلة الغرناطي . . تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبة وآسيا	أبو حامد محمد الغرناطي	قاسم وهب
رحلة إلى الهند 1899-1900	مار أثناسيوس أغناطيوس نوري	نوري الجرّاح
رحلة أفوقاي الأندلسي . . مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613	أحمد بن قاسم الحجري «أفوقاي»	د . محمد رزوق
رحلة المقدسي . . أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم 985-990	محمد بن أحمد المقدسي	شاكر لعيبي
سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم
النزهة الشهية في الرحلة السليمية 1855	سليم بسترس	قاسم وهب
رحلة الشتاء والصيف 1629	الشيخ محمد عبدالله الحسيني	سامر الشنواني
الرحلة الأوروبية 1919	محمد بن الحسن البحري الثعالبي	د . سعيد الفاضلي
رحلة المكناسي . . إحراز المعلم والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785	محمد بن عبدالوهاب المكناسي	محمد بوكبوط
الواسطة في معرفة أحوال مالطة . . كشف المخبأ عن فنون أوروبا 1834-1857	احمد فارس الشدياق	قاسم وهب
الرحلة الأمريكية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
الرحلة اليابانية	الأمير محمد علي باشا	علي أحمد كنعان
رحلة شيخ الأزهر إلى أوروبة . . مذكرات مسافر 1909-1914	الشيخ مصطفى عبدالرازق	أشرف أبو اليزيد
خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932	محمد الخضر حسين وآخرون	د . محمد صالح الجابري
رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال 1743-1748	ابن حمادوش	د . أبو القاسم سعد الله
رحلة محمد الكبير . . باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري	احمد التلمساني	محمد عبدالكريم

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق / المحرر
بيروت - برلين - بيروت . . مشاهدات في أوروبا وألمانيا اثناء الحرب العالمية الثانية	كامل مروة	كريم مروة
رحلة إلى صحراء ليبيا	محمد حسين باشا	
اسبوع في بارس 1922	محمد بن عبدالسلام السائح	د . سليمان القرشي
البرنس في باريس - رحلة إلى فرنسا وسويسرا 1913	محمد المقداد الورتتاني	د . سعيد الفاضلي
سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير 1915	الأمير يوسف كمال	جمال ملحم

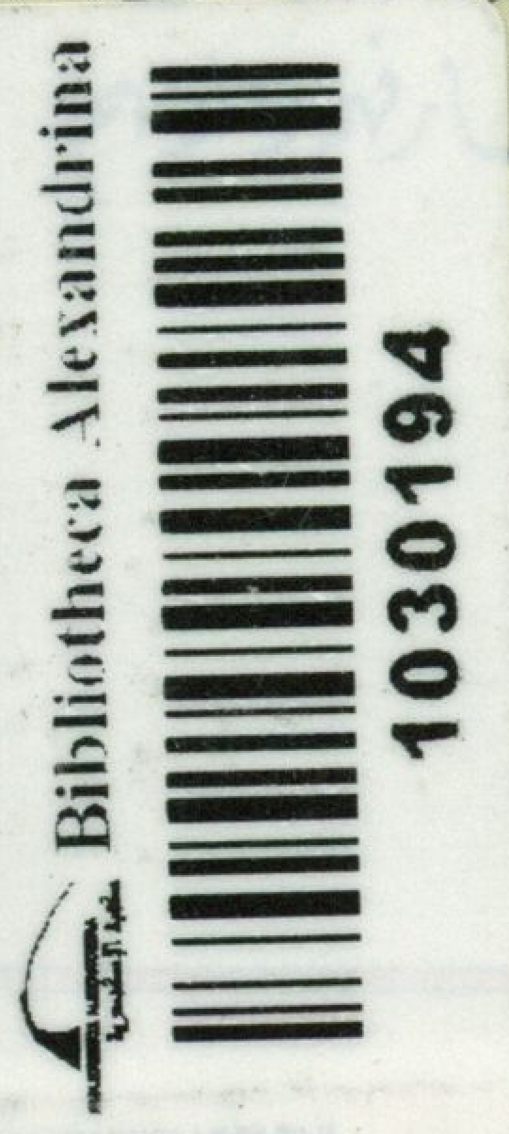


يُسجّل لهذه الرحلة نوع من الخصوصيّة والتميّز، فصاحبها استطاع أن يتخلص من كل مياسم الانبهار التي طبعت غيرها من الرحلات العربيّة إلى أوروبة لينزع نحو التوفيق والتوليف بين حياة العربي المسلم وبين شروط الحياة الأوروبيّة في دقائقها اليوميّة، ومن ذلك مسألة الأكل واللباس وغيرها من القضايا والمواقف والأحكام التي فرضها المقام بين ظهراني الأوروبيين.

القيمة الحقيقيّة للرحلة تكمن في أن الدافع لها كان تحقيق قبلة مسجد باريس. والمثير في الأمر هو وجود مهندسين فرنسيين متسلحين بأحدث ما جادت به معارف الرصد والهندسة إلى جانب علماء فقهاء، وهو ما نتج عنه نوع من الاحتكاك المعرفي خرج منه فقهاء المسلمين مطمئنين على مع[illegible] في مجال تحديد القبلة ورصد سمتها.

ارتياد الآفاق

ISBN 9953-36-602-0







المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
دار السويدي للنشر والتوزيع